فريد الأنصاري

الدين هو الصلاة



والسجود لله باب الفرج!

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الدين هو الصلاة

والسجود لله باب الفرج !

تأليف

فريد الأنصاري

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الخامسة
١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار
الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

الأنصاري ، فريد .
الدين هو الصلاة والسجود لله باب الفرج / تأليف فريد
الأنصاري . - ط ١ - القاهرة : دار السلام للطباعة
والنشر والتوزيع والترجمة ، [٢٠٠٩م] .
١٠٤ ص ؛ ٢٠ سم .
تدمك ٢ ٧٩٦ ٣٤٢ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - الصلاة (إسلام) .
أ - العنوان .
٢٥٢,٢

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عشر الجائزة تتويجا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ٤٠ شارع أحمد أبو العلا - المتفرع من شارع نور الدين بهجت - الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +)
فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
فاكس : ٢٢٦٣٩٨٦١ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٠٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٠٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

* * *

إهداء

إلى جموع الشباب والكهول..
الباحثيـن عن لـمعة من أمل..
إلـى الحيـارَى الضاربين في التـيـه..
البـاحـثـيـن عـن مَـشَـافـي الروح..
الـمثـقلين بـجراح الـذنـوب مـثـلـي..
هــــذا بـــابُ الـفـــرج: الصــــــلاة..!
حـق اللَّـه العـظيـم علـى النـاس أجـمـعـيــن.
فــاكـشــف الــحـجـاب يــا صـــاح وادخــــل!
يــتـدفـق عليك شلَّال النــور بالرحـمـة والســلام!

محبكم: فَرِيـدُ الأَنْصَارِي

سورة الصلاة

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوْمِ
ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦
صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾

آمين!

مُقَدِّمَة

إن الحمد للَّه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد ألَّا إله إلَّا اللَّه، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. بلغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في اللَّه حق جهاده؛ حتى آتاه اليقين.

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار!

ثم أما بعد؛ فهذه رسالة في فريضة الصلاة جمعْتُ مادتها من كتاب اللَّه تعالى، ومما صَحَّ من سنة رسول اللَّه ﷺ، قصدتُ بها بيان عظمة الصلاة، وحقيقة قدْرِهَا عند اللَّه جَلَّ عُلَاه، وما كان عليه رسول اللَّه ﷺ وصحبُه من قيام بحقها، ثم مدى الخسارة الدنيوية والأُخروية اللاحقة بتركها وتضييعها!

وجديربالذكر أن موضوع هذه الرسالة الصغيرة، هو نفس موضوع كتابنا: « قناديل الصلاة »، إلا أن هذا الأخير اعتمد

الأسلوب الأدبي في عرض مادته، وامتطى الكلمةَ المجنحة لبلوغ غايته. وغالب الذين يتفاعلون مع هذا الخطاب إنما هم الذين يتعاطون الأدب، أو يتذوقون لغته. بينما هذه الرسالة مبنية في عرض مادتها على الأسلوب التقريري المباشر، الذي يتذوقه كل القراء بكل اختصاصاتهم. ولعل النفع بمثل هذا أقرب وأعم إن شاء اللّٰـه. ولذلك فقد جعلتُ الحديثَ النبوي الشريف أساس خطابها، ومرتَـكز أهدافها، وصنفتُ نصوصه ضمن تراجم تلخص رسالاتها وبياناتها، على طريقة المحدثين. ومعلوم أن موضوع الصلاة أحرى وأجدر، بأن يُـقَرَّبَ إلى الناس بكل الأساليب وبكل الوسائل واللغات.

هذا، وإنما جمعتُ ما جمعتُ من عزيز نصوصها، وقيدتُ ما قيدتُ من عظيم أسرارها؛ تذكرةً لنفسي - أولًا - بحق اللّٰـه العظيم ﷻ! وما ينبغي لها إزاءه من العبودية والخضوع، ثم إنقاذًا لها من غفلتها وغفوتها في طريق العمر المحدود؛ سيرًا إلى اللّٰـه جَلَّ ذِكْرُهُ وثناؤه. رسالة أخاطب بها نفسي أولًا؛ عسى أن أرجع إليها بالمعالجة؛ كلما أنكرتُ حالي مع ربي، واستثقلتُ خطوي في سيري إليه تعالى، متخلفًا عن ركب العابدين، كلما قيل: (« **سَبَقَ الْـمُفَرِّدُونَ** » قالوا: وما المفردون يا رسولَ اللّٰـه؟ قال: « **الذاكرون اللّٰـه كثيرًا والذاكرات!** »)[1].

(١) رواه مسلم.

رسالة أتزود منها ما أرجو أن ينفعني عندما يجدُّ الجد، وأوضعُ على شفير قبري وينصرف عني كل شيء إلا عملي! وتبدأ مسيرة السؤال والجواب، من اللحظة الأولى بعالَمِ الْبَرْزَخِ إلى يوم الحساب!

ولقد علمتُ مِن كتاب اللَّـه يقينًا أنه لن ينجو أحدٌ- بعد رحمة اللَّـه وعفوه - إلا بما قَدَّمَ من عملٍ! ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩ - ٤٢].

ثم علمتُ يقينًا أنه لا نجاةَ بأيِّ عملٍ - مهما كان! - إن لم يكن العبدُ قد قَدَّمَ بين يديه فريضةَ الصلاةِ كاملةً! ثم عَرَضَهَا على ميزان اللَّـه فلم يلفظها! ولم تُـرَدَّ عليه كَسِيحَةً مُنْكَسِرَةً! ويكون صاحبُها من الخاسرين! فَوَاهًا! وَاهًا من ذلك اليوم ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فيا نفسي المغرورة!.. ألا وإنه لا وَزْنَ لعمل يومئذ لم يُبْنَ - بعد الإيمان - على صَلَاةٍ صحيحة! فماذا تُغْنِي العلوم والفهوم؟ وماذا تغني المناصب والألقاب؟ وما تنفع الأعمال والأموال؟ إن لم يكن العبد عبدًا للَّـه حقًّا، قائمًا بحق ربه العظيم؛ ساجدًا وراكعًا، خاشعًا وخاضعًا؟ ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ

ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

ثم هي رسالةٌ خاطبتُ بها – بالتبع – جموعَ الحيارَى والمغمومين، من الشباب والكهول، ممن ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَتْ، فحاصرهم الخوف، وطاردهم القلق، وحطمهم اليأس والقنوط! إما بسبب خسارة في المال، أو فقدان لجاهٍ أو منصبٍ، أو غرقٍ في أوحال الخطايا لا يستطيعون فكاكًا، أو فشلٍ عمومًا في الحياة! وبدل أن يلتجئوا إلى اللَّـه، يرتمون في أَحضان الضلال ويضيعون في التيه، يعالجون الداء بالداء! ويطفئون لهيب العطش بالرمضاء! فلا يزيدهم ذلك إلا رَهَقًا! ولو رفعوا أبصارهم قليلًا إلى السماء لشاهدوا شلالات الروح تتدفق بالرحمة والسلام!

كَالْعِيسِ فِي البَيْدَاءِ يَقْتُلُهَا الظَّمَا
والماءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ!

يعانون ويألمون.. وهاهنا بوابة الصلاة الخضراء، مفتوحة على جمال الأنس باللَّـه، ويقين الثقة به تعالى، واستمداد الأمان منه جَلَّ ثناؤه، وتَلَقِّي بشائر النصر والتمكين والفتح المبين! فالصلاة تُحرر الإنسان من مخاوفه وأحزانه وأوهامه، وتسلحه بحفظ اللَّـه وتأييده.

فالربُّ شَكُورٌ رحيمٌ، ومَلِكٌ جوادٌ كريم! وبابُ الرحمن مفتوح لكلِّ مَن طرقه، من المحسنين والمذنبين سواء، لا يرد

الرحمن أحدًا! قال سبحانه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[النمل: ٦٢]، وقال جلَّ ثناؤه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ففي الصلاة يستند العبد إلى ربه الملك العظيم، الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وهو على كل شيء وكيل، ويشاهد أن ما من شيء في ملكوت السماوات والأرض إلا وهو مملوك له، خاضع لجلاله العظيم! فعندما يدخل العبد في الصلاة يدخل في حِمَاه ﷻ، ويتلقى من أنوار أسمائه الحسنى ما يجعله غنيًّا باللَّه قويًّا به تعالى، ويتزود من مقامات الجمال والجلال ما يملأ قلبَه أملًا وفرحًا باللَّه، فيشعر أنه « عبد اللَّه » حَقًّا؛ فتتجدد حياتُه، وتَشِبُّ عزيمتُه؛ فإذا هو ينطلق إلى الحياة من جديد، بِفُتُوَّةٍ جديدة، وقوة تَـهُدُّ الجبالَ الرواسي!

ثم هي رسالةٌ خاطبتُ بها أيضًا طائفةً من الناس في هذا الزمان، انقلبتْ عندهم المفاهيمُ والتصورات، وغلبتْ فيهم العاداتُ على العبادات! انخرطوا في أعمال من (الخير والبر) - زعموا - وتركوا الصلاة، أو تهاونوا في أدائها! عجبًا..! ماذا حدث لهذه الأمة في عقلها؟ ولقد صَحَّ الحديثُ النبوي في أن: (**أَوَّلَ ما يُحَاسَبُ به العبدُ يومَ القيامة الصَّلاةُ! فإنْ**

صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ!)[١].

فماذا تنفع صَدَقَةٌ، أو زكاةٌ، أو صيام، أو حج، أو عمرة، أو ذِكْرٌ، أو جهادٌ... إلخ؛ والواقعُ أن الأحمق لا يصلي أصلًا!؟ ولقد وجدنا كثيرًا من الناس يصوم رمضان، فيظل النهارَ كلَّه منقطعًا عن شهوتي البطن والفرج، فلا يفطر حتى يَأْذَنَ له الأذانُ؛ وهو مع ذلك لا يصلي للَّـه ركعة واحدةً! فأي جهلٍ عظيـم هذا، وأي دين؟ تلك أعمالُ، نعم؛ ولكنها ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩].

ورأيتُ عَجَبًا آخرَ من قوم آخرين، انتسب بعضهم (للذاكرين) بزعمهم؛ لا تفتأ أصابعُهم تَعُدُّ من حبات السبحة آلافًا مُؤَلَّفَةً من الأوراد والأذكار، ويشدون الرحال إلى مجامعها شَدًّا؛ وهم لا يعلمون للصلوات المكتوبات وقتًا ولا عَدًّا! ولا يعرفون لها قِبْلَةً ولا قَصْدًا! يتكلمون في حقائق المعاني، ومعارج الروح - زعموا - ويُنَادِي الأذانُ بعد الأذانِ فلا يستجيبون!.. يا ويلهـم! ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴾[المرسلات: ٤٨]. فإن فعلوا نقروها نقر الغراب!

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، والضياء عن أنس مرفوعًا. وصححه الألبـاني في صحيح الجامع الصغير، والسلسلة الصحيحة.

ثم هي رسالةٌ خاطبتُ بها شبابًا تضخمتْ عندهم بعض المفاهيم في الدين على حساب أخرى، وتصدرتْ في ميزان أولوياتهم الفروعُ المؤخراتُ في شرع اللّـه على حساب الأصولِ المقدَّمَات المؤكَّدَات! فتجد العشرات منهم يحرقون أعمارهم، الليل والنهار بمجادلات ومهاترات واستعراضات! وإذا نودي للصلاة كانوا كأن في آذانهم وقرًا!

ومنهم مَنْ إذا صلَّى في ملأ من الناس وعلى مرأى منهم؛ صلى صلاة (استعراضيةً)، وإذا خلا بربه العظيم نَقَرَهَا بين يَدَيْهِ نَقْرًا وانصرف! ويجهل الأحمقُ أنه لن ينجو بكل تلك الفقاعات والفزاعات الكاذبة إن لم يَنْجُ بِصَلاتِه أوَّلًا! وإن كثيرًا من الناس - ممن لا صِلَةَ لهم بمُسمى « الحركة الإسلامية » - ينجون إن شاء اللّـه بِمُجَرَّدِ صَلاتِهِمْ! ويكفيك من ذلـك الحديـثُ الصحيحُ المليح من قـول النبي ﷺ: « أَتَانِي جِبْرِيلُ منْ عِنْدِ اللّـه تَبَارَكَ وتَعَالَى، فقالَ: يَا مُحَمَّدُ! إنَّ اللَّـه ﷻ يَقُولُ: إِنِّي قَدْ فَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَواتٍ! فَمَنْ وَافَى بِهِنَّ عَلَى وُضُوئِهِنَّ وَمَوَاقِيتِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ؛ كَانَ لَهُ عِنْدِي بِهِنَّ عَهْدٌ أَنْ أُدْخِلَهُ بِهِنَّ الْجَنَّـةَ! وَمَنْ لَقِيَنِي قَدِ انْتَقَصَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي عَهْدٌ! إنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ وإنْ شِئْتُ رَحِمْتُهُ! »[1] تلك هي الحقيقة الأخروية الكبرى! ولكن ما

(١) رواه الطيالسي، ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة، والطبراني، والضياء في المختارة؛ =

أشد ظلمات التيه في فتن هذا الزمان!

وإنما كان ذلك الانحراف بسبب تحكم الأهواء في مقاصد الأعمال، والافتتان بالأضواء الإعلامية الـمُبْطِلَةِ للأقوالِ والأفعال!

وبحب النفس لسماع ما ينتج عن ذلك كله من قيل وقال! وقد صح عن النبي ﷺ أن « **مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّه بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ!** »[١].

من أجل هذا وذاك؛ جمعتُ نصوصَ الصلاةِ بهذه الورقات؛ عسى أن تكون لي تذكرةً خاصة، أستعين بها في خاصة أمري، وعسى أن ينفع اللَّه بها من لم يَتَسَنَّ له الاطلاع على مثل محتواها، مما ضَمَّنْتُهُ إياها من الحقائق التشريعية، والمقاصد التعبدية، التي جعلها اللَّه في هذه العبادة العظمى، بما لها من شمول عجيب، جامع لكل حقائق الإسلام، من العقائد توحيدًا وإخلاصًا؛ إلى سائر أصناف العبادات أصولًا وفروعًا! مما يجعل أداءها على وجهها الحقيقي كافيًا - بإذن اللَّه - أن يَسْلُكَ بالعبد مَسْلَكَ النجاة يوم القيامة، ويجعل الاجتهاد في نوافلها يرتقي به إلى الدرجات العليا، من

= عن عبادة بن الصامت. وصححه الألباني في صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة.

(١) رواه البخاري. والمقصود بالتسميع هنا: قَصْدُ المرءِ أن يسمع الناس ما يقوم به من عمل؛ لما فيه من العُجْبِ والرياء والسُّمْعَة، فيفضحه اللَّه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة؛ فلا يقبل له عملًا! نسأل اللَّه تعالى العافية.

منازل الصَّدِّيقِينَ والأولياء حقًّا! كما سيأتي بيانه بدليله إن شاء اللّـه .

وقد يخطر ببالك وأنت تقرأ هذه الكلمات ما يَسْتَشْكِلُهُ بعضُهم وهو: كيف تُنْجي الصلاةُ صاحبَها وربما فَسَقَ معها وفَجَر؟ وربما عَطَّلَ زكاتَه ومَا حَجَّ ولا اعْتَمَر..!؟ إلخ. والجواب إنما هو بكلمة واحدة: من صَلَّى حَقًّا مَا فَسَقَ ولاَ فَجَر! واقْرَأ الحَقَّ من قولِ الحقِّ تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. ولقد فصلنا هذا المعنى في موطن آخر، على قدر ما يسر اللّـه لنا [١] وإنما نقول لك هاهنا: صَلِّ يَسْتَقِم أمْرُكَ كُلُّه! ظاهرُه وباطنُه؛ لأنَّ (الصلاةَ تَرْكٌ كما هي فعْلٌ. إن كنت تصلي حقًّا؛ فأنت تارك لكل منكر من الكبائر والموبقات! من مثل الشرك باللّـه، وقتل النفس التي حرم اللّـه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات، وكذا تناول المحرمات من المطعومات والمشروبات؛ كأكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أُهِلَّ به لغير اللّـه، وشرب الخمر أم الفواحش، وسائر المسكرات والمخدرات، والسقوط في المحرمات من المعاملات؛ كالظلم، والغصب،

---

(١) لنا تفصيل لهذا المعنى في كتابنا (بلاغ الرسالة القرآنية) لمن شاء الاستزادة.

وشهادة الزور، وأكل أموال الناس بالباطل، والقمار، وسائر المنكرات! وجامع ذلك كله قول اللَّه تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. فأبصر كيف أن اللَّه تعالى أسند فعل النهي للصلاة نفسها! كأنها هي ذاتها شخص معنوي، في هيأة نبي مرسل يؤدي مهمته التبليغية، أو عبدٍ مصلح يقوم بوظيفته الإصلاحية! فَلْنُعِدِ التلاوة ولنتدبر: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] عجيب!

إن معنى « أَنْ تُصَلِّي »: هو أن ترحل عن خطاياك إلى اللَّه.. تخرج من دركات العادة إلى درجات العبادة. وهذا كلام يعبر عن حقائق إيمانية، لا يعلم مدى عمقها في نفس العبد المصلي إلا اللَّه؛ إذ تتحول الأذواق وتتبدل ، يتغير طعم المنكر في قلبك فلا تستحليه. ويتبدل ذوق شهوات الحرام من الرغبة إلى الغضبة! وتصبح خَلقًا آخر! أبصر ثم أبصر! فإن الصلاة تصنعك! نعم، إنها ﴿ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] هل غلبتك الفاحشة ولم تستطع التخلص منها؟ هل أنت مدمن على خطيئة ما؟ دواؤك واحد: صَلِّ! تقول لي: إنني أصلي.. لا، لا! صَلِّ! فإنك لا تصلي حقًّا! ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] صَلِّ تجد

أن ما كان يأسرك من المحرمات بالأمس، ويملأ عليك قلبك نزوةً ورغبةً، فلا تستطيع التخلص منه؛ هو من أبغض الأشياء إليك اليوم! إن القرآن سيف قاطع، إذا قطع القـول في حقيقة فلا مِرَاء بعدُ! ولقد قال الحقُّ كلمتَه: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢].

إن الصلاة سفر من الأرض إلى السماء؛ فأنَّى لمنازل السلام أن تصطدم بنوازل الحرام؟ أبدًا، لا شهود للدرجات في نتانة الدَّرَكات!)[١].

ذلك أن الصلاة -إذا أُدِّيتْ بشروطها وعلى وجهها- عبادةٌ عميقةٌ، موضوعة للإصلاح الشامل للنفس الإنسانية في سيرها إلى اللَّـه، والرُّقِيِّ بها بما يجعل العبد على أعلى درجات الكمال في التعرف إليه تعالى. وذلك دَيْدَنُ الأنبياء والصِّدِّيقِينَ فيها كما سترى بحول اللَّـه؛ ولذلك كانت الصلاة هي الدين كل الدين!

ومن هنا جعلنا العنوان الرئيس لهذه الرسالة - كما رأيتَ - (الدين هو الصلاة!) على غِرَارِ قول النبي ﷺ: « الـحجُّ عَرَفَةُ! »[٢] لبيان المركزية الكبرى لذلك الركن من

---

(١) من كتابنا: « بلاغ الرسالة القرآنية » بتصرف.

(٢) رواه أحمد، وأصحاب السنن الأربعة، والحاكم، والبيهقي، عن عبد الرحمن ابن يعمر مرفوعًا. وصححه الألباني في صحيح الجامع، والإرواء، وصحيح سننهم. كما صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند.

أركان الحج. فكذلك الصلاة كانت أعظم أعمال الإسلام بعد الإيمان! حتى أمكن أن يقول القائل على نفس الوِزَانِ: « الإسلام هو الصلاة! » وهذه حقيقة كبرى تقوم عندنا على حجة قاطعة وبرهان! لكنها حقيقة غفل عنها اليوم كثير من الناس، من الخاصة والعامة! وذلك لَمَا ذكرتُ من أسباب؛ حتى في نفسي أن الصلاة إذن في حاجة إلى إعادة اكتشاف؛ بل إن الدين نفسه في حاجة إلى اكتشاف! وإلى نفض غبار المعلومات التقليدية عنه، وتحريره من الفهوم المسكوكة! مما يسيطر حتى على بعض أهل العمل الإسلامي!

وعليه؛ فإنني أعرض هذه الحقائق الساطعة، مما تخلص لديَّ يقينًا، حول مركزية الصلاة في الإسلام؛ وذلك من خلال تقديم بيانات واضحة، قائمة على محكم الآيات، وصريح الأحاديث الصحيحة، مما لا مجال لتأويله أو تغييره، معتمدًا منهج المحدثين في عرض مادتهم العلمية، وذلك بالاكتفاء بتقديم تراجم فقهية مختصرة، بين يَدَي كل مجموعة من النصوص الدالة على كل قضية من قضايا الصلاة؛ عسى أن تباشر الآيات والأحاديث نفسها إقناع المتلقي بمراد اللَّه من دينه. ومن ثم فقد عرضنا ما تحصل لدينا من نصوص في ستة عشر بيانًا، هي:

البيان الأول

في كون الإسلام هو الصلاة..! وأن الصلاة هي أوجب الواجبات بعد الإيمان،وأفضل الأعمال وآكدُها!

وذلك باعتبار أنها - بعد الشهادتين - أساس أركان الإسلام، وأنها أفضل أعمال الدين على الإطلاق! ومن هنا أمكن صياغة القاعدة التالية: (مَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ فَلَا دِينَ لَهُ!)
وإليك بيانها من الكتاب والسنة، وهو كما يلي:

إن الصلاة هي الغاية التي من أجلها خُلِقَ الإنسان ابتداءً! وهذه حقيقة قرآنية كبرى! فالكون كله بذراته ومجراته دائر في فلك العبادة، ركوعًا وسجودًا للَّه الواحد القهار، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج: ١٨]. ثم إن قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] إنما هو الصلاة! نعم للعبادة مفهومٌ

شاملٌ؛ ولكن الصلاة أشمل! فبالصلاة يكون العبد عابدًا للَّـه بكل شيء، وبغيرها لا يكون عابدًا له بأي شيء! بل بدونها يكون كافرًا أو عاصيًا له في كل شيء! ولذلك فقد كان أول مؤاخذة ذكرها الكفار على أنفسهم وهم يُعَذَّبُونَ في نار جهنم - والعياذ باللَّـه - أنهم لم يكونوا من المصلين! رغم أنهم لم يكونوا مسلمين أصلًا! قال ﷻ يحكي سؤال أهل النعيم للمجرمين: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٨].

فرغم أن أكبر الكبائر هو الشرك باللَّـه والكفر به، وبما يترتب على ذلك من الكفر بالبعث والنشور؛ فقد جعله اللَّـه آخر ما ذُكِرَ في الآية! وقدَّم تضييع الأعمال الصالحة وعلى رأسها الصلاة! ولذلك قال المعذَّبون مقالتهم وكأنهم وجدوا أن الذين نجوا حقيقةً من العذاب إنما نجوا بسبب عبادتهم للَّـه بالصلاة وبما يليها من أعمال، ثم وجدوا أن طائفة من عصاة المسلمين وفُجَّارهم قد أُلْقِيَ بهم معهم في النار والعياذ باللَّـه؛ بسبب تركهم للصلاة! فلم ينجهم إيمان بلا عمل من عذاب اللَّـه! أما هؤلاء الكفار باللَّـه أصالةً؛ فكفرهم بيوم الدين كان سببًا في انصرافهم عن الصلاة التي من أجلها خُلقوا! فلذلك قالوا أول ما قالوا: ﴿ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ [المدثر: ٤٣] هذه هي الحقيقة العظمى في الدين!

ومن هنا لما ذمَّ اللّـه تعالى الإنسان وتوعده بما فيه من هلـع؛ استثنى طائفة من الناس جعلهم بمنجاة من العذاب؛ لعلّةٍ مركزية أساسٍ، هي كونهم مُصَلِّينَ! وألحق بهذا الوصف صفاتٍ شَتَّى إنما هي تفاصيل نعتية - معطوف بعضها على بعض - لكونهم مُصَلِّينَ! وذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٣١ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ [المعارج: ١٩- ٣٥].

فهذه الأوصاف كلها إنما هي نابعة من كونهم مصلين! فتدبر..! لأن الصلاة تصنع فيهم هذا كله ثم تَحْفَظُهُ وتُنَمِّيه! والعجيب أن أول وَصْفٍ فرِّعَ عن كونهم مصلين هو أنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ ثم كان آخر وصف خُتِمَ به السياق هو أنهم: ﴿ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾، وذلك لجعل الأعمال الصالحة جميعها مراقبة بميزان الصلاة؛ إدامةً لفعلها، وحفظًا لوقتها وخشوعها. وذلك ما يضمن لها البقاء والثبات. فلا صلاح للإنسان بغير صلاة ابتداءً وانتهاءً!

ومن أعجب الآيات في هذا السياق أنه تعالى جادل بني إسرائيل في الإيمان بالقرآن والاعتراف بالحق، ثم خاطبهم بعد ذلك مباشرة بالصلاة والزكاة! وكأن إيمانهم بالقرآن إنما هو من أجل تحقيق العبودية الحقة للّـه وأولها الصلاة! قال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ٤٣ - ٤٦].

وقال لهم في آية أخرى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ١٢]. وحصر مفهوم « الدين القيم » فيما أُمِرَ به بنو إسرائيل ولم يستجيبوا له، وهو إخلاص التوحيد للّـه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة! فقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

ومن أَرْهَبِ المواقف وأَجَلِّها موقفُ نبي اللّـه موسى عليه السلام، لما ناداه ربه لأول مرة بجانب الطور الأيمن! فكان ما كان

من فزع موسى ورهبته! فلما اطمأن عَرَّفَهُ اللَّـه - تبارك وتعالى - بنفسه أولًا، ثم أمره بالعبادة وعلى رأسها الصلاة! فقال في آية عجيبة حق عجيبة: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾ [طه: ١٤، ١٥].

ثم قال للكافر الضال الذي اختلطت عليه المفاهيم، وتداخل عنده الحق بالباطل، ففتنته الشياطين؛ إذ سَمَّتْ له الضلالَ هُدًى! كما تصنع كثير من الخطابات الإعلامية والسياسية في زماننا هذا: ﴿ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٧١، ٧٢]. وفي ذلك إشارة إلى أن الصلاة هي العاصم من فتنة الشبهات والأهواء التي يُلْقِي بها الضُّلالُ على الْـجُهَّالِ!

ولذلك فإنه تعالى قرر أن إقامة الدين في الأرض، وما تتطلبه من دعوة وجهاد؛ إنما غايته الأساسية هي الصلاة أوَّلًا! وما يلحقها من أعمال الإسلام: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١]. ووصف هذه الأمة - في غير ما موطن من القرآن - بكونها صاحبة الشهادة على الناس، وجعل

مناط تلك الشهادة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة! قال تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٨].

وأما الأحاديث النبوية فإنها تُثبت أن أول عمل كُلِّفَ به رسولُ اللَّـه ﷺ بعد الإيمان إنما هو الصلاة! والقرآن نفسه شاهد صريح على هذا. وبَيَّنَ النبي عليه الصلاة والسلام ذلك بيانًا لا لبس فيه فقال: « **أتاني جبريل في أول ما أُوحِيَ إلي فعلَّمني الوضوءَ والصلاةَ** »(١) الحديث.

وجعل اللَّـه قضية الصلاة والزكاة - بعد قضية التوحيد - هي معركة الإيمان الأساسية في حياة المسلم، طيلة الفترة المكية دون أي شيء آخر من الأوامر الجهادية والقتالية. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [النساء: ٧٧]. وقال لرسوله ﷺ لما توعده أبو جهل بمنعه من الصلاة بالبيت العتيق قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ

---

(١) رواه أحمد والدارقطني والحاكم، عن أسامة عن أبيه زيد بن حارثة مرفوعًا. وصححه الألباني في صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة.

كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ٩ - ١٩]. فجعل الصلاة معركة مصيرية في قضية الإيمان! مما لا ينبغي للمؤمن أن يساوم فيه ولا أن يلين ولا أن يهون! فقد حسم اللَّـه ﷻ الأمر في أوائل ما نزل من القرآن على محمد ﷺ؛ بكلمة الفصل الباقية إلى يوم الدين: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ١٩].

ومن هنا بقيت الصلاة أفضل أعمال المؤمن بإطلاق! فعن ثوبان ﵁ أن رسول اللَّـه ﷺ قال: « **اِسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ! ولَنْ يُحافَظَ عَلَى الوُضُوءِ إِلَّا مؤْمِنٌ** »[1] وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّـه ﷺ: « **الصلاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ؛ فمن استطاع أن يَسْتَكْثِرَ فَلْيَسْتَكْثِرْ** »[2].

---

(١) رواه أحمد، وابن ماجه، والدارمي، والبيهقي، والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، ولا علة له سوى وهم أبي بلال الأشعري. ورواه ابن حبان في صحيحه من غير طريق أبي بلال وقال في أوله: (سددوا وقاربوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة... الحديث)، ورواه ابن ماجه والبزار عن ابن عمرو وأبي أمامة أيضًا، كما رواه الطبراني عن سلمة بن الأكوع. قال ابن عبد البر: (وهذا الحديث يتصل مسندًا عن النبي ﷺ من حديث ثوبان، وحديث عبد اللَّـه بن عمرو بن العاص) (التمهيد ٢٤ / ٣٨١)، وقال الألباني في صحيح الترغيب: صحيح لغيره. بينما صححه مطلقًا في صحيح الجامع الصغير، حديث رقم (٩٥٢) في صحيح الجامع. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط عن بعض طرقه في المسند: « حديث صحيح، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الصحيح ».

(٢) رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب، وصحيح الجامع، حديث رقم (٣٨٧٠).

وسئل عليه الصلاة والسلام عن أحب الأعمال إلى اللّـه فقال: « **أحبُّ الأعمال إلى اللَّـهِ الصَّلاة لوقتِها، ثُمَّ بر الوالدين، ثُمَّ الجهاد في سبيلِ اللّـهِ** »[(١)] وعن ابن مسعود ﷺ قال: سألتُ رَسُولَ اللَّـه ﷺ: أيُّ الأعْمَالِ أفْضَلُ؟ قَالَ: « **الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا** ». قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: « **الجِهَادُ في سَبِيل اللّـه** »[(٢)].

إن الواجبات في الإسلام كثير، لكنها ليست على وِزَانٍ واحدٍ، فواجب دون واجب. فهناك الواجبات العامة، وهناك الأركان الخمسة، التي هي أصول الواجبات الكبرى في الإسلام، والتي بها يكون الإنسان مسلمًا أو لا يكون! فعن ابن عمر – رضي اللّـه عنهما – أن رَسُولَ اللّـه ﷺ قال: « **بُنِيَ الإسْلامُ عَلَى خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَلَّا إلهَ إلَّا اللّـه، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّـه، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ** »[(٣)]. ولكن هذه الأركان هي بذاتها مراتب! فليست عبادة تقع من المؤمن مرة في السنة كالصيام والزكاة، أو مرة في العمر كالحج؛ كعبادة تقع منه يوميًّا، وعلى مدار الفَلَكِ، من الفجر إلى العشاء! فهذه فريضة ذات طبيعة أخرى؛ ولهذا جاء وجوبها في القرآن مقرونًا بالإيمان في أغلب المواطن كما رأيت؛ إذ هي – إن أُقيمت على وجهها – ضمنت من المؤمن أداء باقي الأركان؛ لِمَا لها من تزكية رفيعة

(١) متفق عليه.

(٢، ٣) متفق عليه.

للنفس، ترفع العبد إلى مقام العبودية الكاملة بإذن اللّـه!

ومن ثَمَّ وصفها النبي ﷺ بأنها «عَمُودُ الإسلام»! قال عليه الصلاة والسلام: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ**»[1].

والعمود - عند العرب - يطلق على الخشبة الضخمة أو العُودِ الكبير الذي ترفع به الخيمة من الوسط؛ ولذلك يكون أقوى وأعظم وأطول! وبدونه لا يكون للخيمة انتصاب! فهو بمثابة السارية أو الأُسطوانة المركزية في البناء. وهذا معنى قول عمر بن الخطاب ﷺ: «لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة!»[2] معنى قولنا هاهنا الدين - أو الإسلام - هو الصلاة!

ثم إنه مما يلفت الانتباه حقًّا أن كل أحكام الدين - عقيدةً وشريعةً - كان وحيًا من عند اللّـه، ينزل من السماء إلى الأرض، بواسطة الملاك جبريل ﷺ، إلا الصلاة! فقد كان لها امتياز أعلى! حيث فُرضت أول ما فرضت ركعتين فقط لكل وقت![3] وذلك بالمنهج نفسه، وحيًا من السماء إلى

---

(١) جزء حديث رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي، والطبراني. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وقال الشيخ الألباني: «صحيح»، حديث رقم (٥١٣٦) في صحيح الجامع. كما صححه بطرقه أيضًا الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند. وسيأتي الحديث بتمامه في آخر هذه الرسالة إن شاء اللّـه.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ.

(٣) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (الصلاة أول ما فرضت ركعتين، فأقرت صلاة السفر، وأتمت صلاة الحضر) متفق عليه.

الأرض في السنة الأولى من تاريخ نزول القرآن، بل في الأشهر الأولى من بدء الوحي! كما سبق بيانه.

ثم بعد ذلك جاء التشريع النهائي للصلاة في الصيغة الكاملة؛ باستدعاء رسول اللّـه ﷺ شخصيًّا إلى السماء السابعة! ليتلقى أمرها من رب العالمين مباشرة! وذلك في ليلة الإسراء والمعراج العجيبة! وخلال المرحلة المكية ذاتها! فقد فرض اللّـه على نبيه ﷺ في السماء السابعة، وبغير واسطة الملاك جبريـل عليه السلام خمسين صـلاة في كل يوم وليلـة، ثم خففهـا سبحانه، اختزالًا في خمس، ثم قال في الحديث القدسـي: « **يا محمد! إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، بكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة** »[(١)].. فأي فريضة هذه التي هي فضل كلها، ورحمة كلها، ونور كلها، وجمال كلها؟.. وإن عبادة فُرِضتْ في السماء من غير واسطة الملاك؛ لحريَّة بالارتقاء صُعُدًا بأهلها إلى مقامات السماء..![(٢)].

ومن هناك لم يزل القرآن الكريم يتنزل حَضًّا وتأكيدًا لهذه الفريضة العظمى في الإسلام، ويدعو إلى حفظها إقامةً وتوقيتًا وخضوعًا وخشوعًا؛ حتى إنها لا تكاد تخلو سورةٌ من شأنها؛ أمرًا وتوجيهًا، وبيانًا وتعليمًا، وترغيبًا وترهيبًا؛ حتى إن لك أن تقول: إن القضية الكبرى للقرآن بعد الإيمان والتوحيد هي

---

(١) رواه مسلم.

(٢) من رسالتنا: قناديل الصلاة.

قضية الصلاة! قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ [النساء: ١٠٣] وقال سبحانه: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وقال جل ذِكْرُهُ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠]. وقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤] . وقال سبحانه: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ [إبراهيم: ٣١]. وقال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾ [الإسراء: ٧٨].

ولو تتبعت موضوعات الصلاة في القرآن لجئت بالقرآن كله! فماذا بقي للإنسان من دينه إذا هو ضيع الصلاة؟

وما رأيتُ مثالًا أشد وضوحًا ولا أشد رهبةً في بيان مركزية الصلاة في الإسلام، وعظمتها عند اللّـه من مثل ما يسميه الفقهاء بـ (صلاة الخوف)! وقد كان لنا فيها كلام في موطن آخر نختصر منه هاهنا ما يلي: (فمن أعجب العجب أن ألزم اللّـه ﷻ المسلمين بالصلاة إلزامًا حتى في أحرج الظروف وأخطرها: الحرب والقتال! قال ﷻ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ

وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩]. فقوله سبحانه: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾ يعني: في حال الحرب وانعدام السلم والأمن، سواء لحظة الاشتباك أو لحظة الترقب. وقوله: ﴿ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ أي: فَصَلُّوا (صلاةَ الخوف) - باصطلاح الفقهاء - على ما تَيَسَّرَ لكم من هيأة ووضع! و(صلاة الخوف) عندهم هي: عين الصلوات الخمس المفروضة، عندما تُؤَدَّى في ظروف الحرب! حيث قد تُؤَدَّى (رِجَالًا)، أي: على أرجلكم، واقفين أو سائرين، أو (رُكْبَانًا)، أي: راكبين خيولكم، أو دباباتكم، ومصفحاتكم، أو طائراتكم.

وقد فصَّلَ الفقهاء والمفسرون وشُرَّاحُ الحديث في صور صلاة الخوف وأشكالها؛ بناء على قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ

جُنُوبِكُمْۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٢، ١٠٣].

فماذا بقي لك بعد هذا يا صاح من الأعمال الحادية إلى باب اللّٰه؟ وها أنت ترى الصلاة أساس السير على كل حال، مَنْشَطًا ومَكْرَهًا؟

ولصلاة الخوف صُوَرٌ كثيرة معروفة في كتب السنن وكتب الفقه. وإنما الغاية عندنا هاهنا العبرة من الأحكام لا أنفس الأحكام. وذلك أن اللّٰه ﷻ طلب من المسلم الصلاة على كل حال ما دام عقله سليمًا، لا ينقصه جنون أو إغماء أو ما في معناهما.

وأحب هاهنا أن أعرض لبعض الفقه في صلاة الخوف؛ لتعرف حجم هذه الفريضة التي ضيعها كثير من الناس اليوم، ولتعرف حجم الخسارة الواقعة بما ضيعوا..!

ذلك أن من أحرج الوجوه في صلاة الخوف ما رواه البخاري عن عبد اللّٰه بن عمر - رضي اللّٰه عنهما - قال: (غزوتُ مع رسولِ اللّٰه ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَوَازَيْنَا العَدُوَّ، فَصَافَفْنَا لهم! فقام رسولُ اللّٰه ﷺ يصلي لنا، فقامت طائفةٌ معه تصلي، وأقبلتْ طائفةٌ على العدو [يعني: تراقبه] ، وركع رسولُ اللّٰه ﷺ بمن معه، وسجد سجدتين، ثم انصرفوا [للحراسة] مكانَ الطائفة التي لم تصل، فجاؤوا [يعني:

الذين لم يصلوا بعد] فركع رسولُ اللَّـه ﷺ بهم ركعة، وسجد سجدتين، ثم سلم، فقام كل واحد منهم، فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين!)[١].

ومن ذلك ما رواه البخاري أيضًا عن ابن عباس رضي اللَّـه عنهما - في صفة صلاة الخوف، قال: (قامَ النبي ﷺ وقام الناسُ معه، فكبر وكبروا معه، وركع وركع ناسٌ منهم، ثم سجدَ وسجدوا معه، ثم قام للثانية فقام الذين سجدوا وحرسوا إخوانهم، وأتت الطائفة الأخرى فركعوا وسجدوا معه، والناس كلهم في صلاة ولكن يحرس بعضهم بعضًا!)[٢].

ولعل أحرج صورها على الإطلاق أن يصليها كل واحد لنفسه ركعة واحدة بالإيماء! وذلك أنه إذا اشتد الخوف، كما هو الحال عند المسايفة، ونحوها من صور الاشتباك في القتال، يصلي كل واحد لنفسه ركعة واحدة، راكبًا أو راجلًا، مُقْبِلًا ومُدْبِرًا. قال القرطبي في تفسيره: (واختلفوا في صلاة الخوف عند التحام الحرب، وشدة القتال، وخِيفَ خروجُ الوقت، فقال مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وعامة العلماء: يصلي كيفما أمكن؛ لقول ابن عمر: « فإن كان خوفٌ أكثر من ذلك فيصلي راكبًا أو قائمًا يومئ إيماءً »، قال في

(١، ٢) رواه البخاري.

الموطأ: مستقبل القبلة وغيرَ مستقبِلها!)[١] وهذه من عجيب صورها! فانظر - رحمكَ اللّـه - هل يبلغ شيء من أعذار الناس اليوم درجةَ ما ذكره العلماء من الشدة والحرج في القتال؟ ولم يَـرَوْا مع ذلك رخصة في تركها، أو تأخيرها عن وقتها!

فعجيب أمر هذه العبادة العظمى.. لا تبرأ ذمة المسلم منها حتى يؤديها! وقد جاء تأكيد ربطها بالوقت حتى في ظروف الحرب كما قرأت؛ حتى لا يؤخرها مسلم عن وقتها الذي فرضها اللّـه فيه. فالحرب، بل الاشتباك في المعركة، أي ما يسمى قديما بـ (المسايفة)؛ ليس عذرًا لتأخير الصلاة عن وقتها؛ بله أن يكون عذرًا لتركها. وإنما هو يؤثر فقط في شكل أدائها لا في إسقاطها، أو إخراجها عن وقتها. صلِّ على أي حال كنت، وخُذْ حِذْرَكَ! ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًـا ﴾ [النساء: ١٠٣] في السلم وفي الحرب سواء..!)[٢].

***

---

(١) تفسير القرطبي، المسمى بالجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٦٩)، لأبي عبد اللّـه محمد بن أحمد القرطبي، نشر دار الشعب، القاهرة. ط. الثانية (١٣٧٢هـ)، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني.

(٢) من كتابنا « بلاغ الرسالة القرآنية » بتصرف.

البيان الثاني

في أن الصلاة أساس بيعة الرسول ﷺ وهي المفتاح العملي للدخول في الإسلام!

لقد كانت الصلاة - أولًا وقبل كل شيء - هي العلامة الأساس لتوبة الكافر المحارب! فمن أقامها من الكفار حُرمت محاربتُه، ووجبت محبتُه، وحقت أُخُوَّتُه! قال تعالى عن أهل الحرب: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥]. وقال سبحانه: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ١١].

ومن هنا كانت الصلاةُ أَوَّلَ بَند - بعد التوحيد - في عقد البيعة التي كان الرسول ﷺ يتلقاها عن الناس. وذلك وارد في صيغ شتى من أحاديثه الثابتة الصحيحة؛ منها قوله ﷺ: «ألا تبايعوني على أن تعبدوا اللّـه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تقيموا الصلوات الخمس، وتؤتوا الزكاة، وتسمعوا وتطيعوا،

ولا تسألوا الناس شيئًا؟ »[١] ومن هنا كان تارك الصلاة في الحقيقة ناقضًا لبيعة رسول اللّـه ﷺ ! فتأمل..!

وقلت – من قبل –: (الصلاة أولًا وقبل كل شيء)؛ لأن الزكاة كثيرًا ما تُذْكَرُ مقرونَةً بها عطفًا، في القرآن والسنة، ولكنها مع ذلك ليست على وِزَانِهَا، بل هي مُرَتَّبَةٌ بعدها مباشرة وبدرجة ثانية! وهذا معلوم بالاستقراء التام للنصوص القرآنية والحديثية الصريحة الواضحة. وذلك ما كان رسول اللّـه ﷺ يحرص على تعليمه لأصحابه بدقة متناهية!

فتدبر المنهاج الدعوي الذي رسمه – عليه الصلاة والسلام – للصحابي الفقيه معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن، يقول رضي الله عنه: **بَعَثَنِي رَسُولُ اللّـه ﷺ إلى اليَمَنِ، فَقَالَ: « إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إلى شَهَادَةِ أَلَّا إلــهَ إلا اللّـه، وأَنِّي رَسُول اللَّـه، فإِنْ هُمْ أطاعُوا لِذلكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللّـه تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صلَوَاتٍ في كل يَومٍ وَلَيلة، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أن اللّـه تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقة تُؤخَذُ مِنْ أَغْنَـيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وبَيْنَ اللّـه حِجَابٌ! »**[٢] فهذا التعبير المتكرر في الحديث: « **فَإِنْ هُمْ أطاعُوا لِذَلِكَ** » هو جملة شرطية، دالة على أنه: لا فائدة من

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

العمل المذكور بعدها إن لم يتحقق العمل المذكور قبلها أولًا! وكانت الصلوات الخمس - كما رأيت - أول مذكور بعد الإيمان، وقبل سائر الأركان! وعلى هذا وردت النصوص كلها.

* * *

البيان الثالث

في أن ترك الصلاة نقض لعهد اللّه ورسوله ﷺ وأنها أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة! وأنه لا نجاة للإنسان إلا بأدائها! فعلى نتيجة حسابها تُبنى سائر الأعمال

قال رَبُّ العِزَّةِ سبحانه في بيان ماهية العهد الذي عهد به إلى إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]. فذلك عهد الصلاة إعدادًا لبيت اللّه وتهيئةً له، خِدْمَةً للطائفين والعاكفين، وأساسُ الاعتكاف هو الصلاة.

وأما الرُّكَّعُ السُّجُودُ فهم العُبَّادُ الذين يسيرون إلى اللّه من صلاة إلى صلاة، ومن ركوع إلى سجود؛ فهم في عبادة دائمة لا تكاد تنقطع! ولذلك قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]. وقال لأمته: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. وندد بمن تخلف عن أداء الصلاة تنديدًا شديدًا، فقال ﷻ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩]. فذلك عهد اللَّـه: الصلاة! ولا عهد لمن ضيع الصلاة! قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٥].

وهو صريح الحديث النبوي الصحيح، من قول الرسول ﷺ: « **العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ** »[1] وعن جابرٍ ؓ: قال: سمعتُ رَسُولَ اللَّـه ﷺ يقول: « **إنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ** »[2] وعن عبد اللَّـه بن شقيق التَّابعيِّ المتفق عَلَى جَلالَتِهِ - رَحِمَهُ اللَّـه - قَالَ: (كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّد ﷺ لا يروْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ!)[3]

---

(١) رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، والتِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَديثٌ حَسَنٌ صحيح غريب. كما رواه ابن حبان والحاكم، كلهم عن بريدة ؓ مرفوعًا. وصححه الألباني. حديث رقم: (٤١٤٣) في صحيح الجامع. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند: إسناده قوي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الإيمان، وصحح الإمام النووي إسناده في رياض الصالحين. كما صححه الألباني في صحيح الترغيب، وصحيح الترمذي، والمشكاة، وحكم تارك الصلاة.

والمقصود « بالكفر » هاهنا ليس التكفيرَ العَقَدِيَّ الْـمُخْرِجَ من المِلَّةِ، ولكنه حُكْمٌ على تارك الصلاة بأن مصيره إلى النار كالكفار! والفرق بينهما أنه لا يخلد مثلهم في العذاب خُلُودًا مُؤَبَّدًا.هكذا فسره الجمهور. وكفى بذلك خِزْيًا والعياذ باللّـه! فقليلُ جهنم لا يقال له قليل![1] ولذلك قال رسولُ اللّـه ﷺ: « **خَمْسُ صلَواتٍ افترضهن اللّـه ﷻ مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ، وصلَّاهن لِوَقْتِهِنَّ، وأتَمَّ ركوعَهن وخشوعَهن؛ كان له على اللّـه عَهْدٌ أن يغفر له! ومَنْ لم يفعل فليس له على اللّـه عَهْدٌ، إنْ شاَء غَفَرَ لَهُ وإنْ شاَء عَذَّبَهُ!** »[2] وقال عليه الصلاة والسلام: « **أَتانِي جِبْرِيلُ مِنْ عِنْدِ اللّـه تبارَكَ وتَعالَى فقالَ: يَا محَمَّدُ! إنَّ اللّـه ﷻ يقولُ: إِنِّي قَدْ**

---

(١) قد أجمع العلماء على تكفير من ترك الصلاة جحودًا لها. وأما من تركها كسلًا وتهاونًا فقد اختلفوا فيه؛ فمنهم من كفره عملًا بظاهر الأحاديث، ومنهم من لم يكفره، وحمل الأحاديث في حقه على ما سموه بالكفر العملي، وهو دون الكفر العقدي، وإنما سمي كفرًا؛ لأنه يقود صاحبه إلى النار كالكفر العقدي سواء، لكنه لا يخلد فيها مع الكفار - أعاذنا اللّـه وإياكم منها، قليلها وكثيرها فقليل النار لا يقال له قليل - ولذلك فالجمهور على أن المقصود بالكفر في هذه الأحاديث وصفٌ في حق مَنْ ترك الصلة جحودًا لها واستهزاءً. أو أنه الكفر العملي الذي لا يخلد صاحبه في النار. والعاقل هو مَن يتجنب كل طريق تؤدي إلى النار؛ لأن عذاب يوم واحد فيها كألفِ سنةٍ مما تعدون! نسأل اللّـه السلامة والنجاة لنا ولكم من العذاب قليله وكثيره.

(٢) رواه مالك، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، كلهم عن عبادة بن الصامت. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، وصحيح الترغيب، وصحيح أبي داود، والمشكاة، وصفة الصلاة. كما صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند.

فَرَضْتُ على أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَات، فَمَنْ وَافَى بِهِنَّ على وُضُوئِهن، ومَوَاقِيتِهِن، ورُكُوعِهِنَّ، وسُجُودِهِنَّ؛ كانَ لَهُ عِنْدِي بِهِنَّ عَهْدٌ أَنْ أُدْخِلَهُ بِهِنَّ الجنَّةَ! ومَنْ لَقِيَنِي قَدِ انْتَقَصَ مِنْ ذلك شيئًا فَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي عَهْدٌ! إنْ شِئْتُ عَذَبْتُهُ وإنْ شِئْتُ رَحِمْتُهُ!»[1].

ورَوَى عبدُ اللَّـه بن عمرو - رضي اللَّـه عنهما — عن النبي ﷺ أنه ذكَر الصلاة يومًا؛ فقال: « **مَنْ حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة! ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ، وكان يومَ القيامةِ مع قَارُونَ وفرعونَ وهامانَ وأُبَيِّ بْنِ خَلف** »[2].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّـه ﷺ قال: « **إنَّ أوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّب ﷻ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبدي من تطوُّعٍ؟**

---

(١) رواه الطيالسي، ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة، والطبراني، والضياء في المختارة عن عبادة بن الصامت. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة.

(٢) رواه أحمد، وابن حبان، والدارمي، والطبراني في الكبير والأوسط. وقال أبو بكر الهيثمي: (رجال أحمد ثقات). مجمع الزوائد (١/ ٢٩٢). وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند، كما صحح الشيخ حسين أسد رواية الدارمي. بينما ضعفه الألباني من رواية ابن نصر في ضعيف الجامع الصغير، ولكن حسنه في الثمر المستطاب، وفي حكم تارك الصلاة. قلت: وعند الجمع بين طرقه فأقل ما يقال فيه: إنه صحيح لغيره، أو حسن.

فَيُكَمَّلُ مِنْهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ تَكُونُ سَائِرُ أَعْمَالِهِ عَلى هَذَا »[١] وعن أنس بن مالك، قال: قال رسـول اللَّـه ﷺ: « **أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة! فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله!** »[٢].

* * *

(١) رواه أحمد، وأصحاب السنن الأربعة، والبيهقي في الكبرى وفي الشعب، والطبراني في الأوسط، وأبو يعلى، والحاكم وصححه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، والمشكاة، وصحيح الترغيب ، وصحيح سننهم.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، والضياء، عن أنس مرفوعًا. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة.

البيان الرابع

في أن ترك الصلاة من أهم أهداف الشيطان من الإيقاع بالإنسان في سائر الخطايا والموبقات! وأن من ترك الصلاة بسبب إدمانه على معصية من المعاصي كان من الهالكين!

تبين أن ترك الصلاة - بعد الكفر والشرك بالله - هو أكبر كبيرة وأخطر موبقة يمكن أن يقع فيها الإنسان! ولذلك فقد كانت هي الهدف الأساس من استدراج الشيطان للإنسان! حتى يقع في الذنوب الأخرى التي تصرفه عن الصلاة! فإغواء الشيطان له بسائر المعاصي، من شربٍ للخمر، أو لعبٍ للقمار، أو وقوعٍ في الزنى، أو غير ذلك؛ إنما غايته عنده أن يترك العبد الصلاة أو أن يتهاون في أدائها؛ بما يُغضب الله ﷻ نعوذ به تعالى من سخطه وغضبه! قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١].

وعن عبد اللَّـه بن عمرو - رضي اللَّـه عنهما - أن رسول اللَّـه ﷺ قال: « مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ سُكْرًا مَرَّةً واحِدَةً فكَأَنـما كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا فَسُلِبَهَا! وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ سُكْرًا أَرْبَعَ مَرَّات كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّـه ﷻ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَال » قِيلَ: وَمَا طِينَـةُ الْخَبَالِ يَا رَسُولُ اللَّـه؟ قَالَ: « عُصَارَةُ أَهْلِ جَهَنَّمَ! »[١].

* * *

(١) أخرجه أحمد، والحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. كما رواه البيهقي في الكبرى وفي الشعب والطبراني في الكبير والأوسط وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند: « إسناده حسن ». كما حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة وصحيح الترغيب.

البيان الخامس

في أن التزام الصلاة من أهم خصال الأنبياء والصديقين وأنها دأب الصالحين والربانيين، وأهم صفات أصحاب رسول الله ﷺ

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٣]. وقال سبحانه على لسان إبراهيم: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾[إبراهيم: ٤٠]. وقال تعالى على لسان إبراهيم أيضًا: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[إبراهيم: ٣٧]. وقال تعالى في حق نبيه إسماعيل عليه السلام: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٥]. وقال تعالى يخاطب نبيه موسى عليه السلام: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه: ١٤]. ومثله قوله تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧].

وقال تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

وقال جل جلاله لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢] وقال عز وجل في وصية لقمان لابنه: ﴿يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧].

وقال تعالى في حق بني إسرائيل وغيرهم من الكفار: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وكَتَبَ أميرُ المؤمنينَ عُمَرُ بْنُ الخطاب رضي الله عنه إلى عُمَّالِهِ قَالَ: «إِنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي الصَّلَاةُ! فَمَنْ حَفِظَهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ»(١).

وعن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه قال: (دخلتُ على عُمَرَ بْنِ الخطابِ وهو مُسَجًّى [أي من الطعنة التي طُعن عند مقتله] فقلتُ: كيف ترونه؟ قالوا: كما ترى! قلت: أيقظوه بالصلاة

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ بسند صحيح.

فإنكم لن توقظوه لشيء أفزع له من الصلاة! فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين! فقال: ها اللَّـه إذًا ! ولا حق في الإسلام لمن ترك الصلاة! فصلى وإنَّ جُرْحَهُ لَيَثْعَبُ دمًا)[١] ومعنى « يَثْعَبُ »: يتفجر ويتدفق! وأخرجه مالك في الموطأ بلفظ آخر: (أنَّ المِسْوَرَ بنَ مَخْرَمَةَ دخل على عمر بن الخطاب من الليلة التي طُعن فيها، فأيقظ عمر لصلاة الصبح، فقال عمر: نعم، ولا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة! فصلى عمرُ وجُرْحُهُ يَثْعَبُ دمًا!)[٢].

ومن أعجب القصص التي تُروى عن أصحاب رسول اللَّـه ﷺ قصة الأنصاري الذي بات يحرس المسلمين ليلًا بغزوة ذَاتِ الرِّقَاعِ؛ حيث قام يصلي بثغر حراسته فرآه رجل من المشركين فرماه بثلاثة أسهم، الواحد تلو الآخر، فجعل الدم يجري والرجل قائم يصلي ثابت في صلاته، يتلذذ بتلاوة القرآن، ولم يقطع صلاته! وإليك نص الحديث مفصلًا:

عن جابر بن عبد اللَّـه رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول اللَّـه ﷺ في غزوةِ ذاتِ الرِّقَاعِ، فأُصيبتْ امرأةٌ من المشركين، فلما انصرف رسول اللَّـه ﷺ قافلًا جاء زوجها - وكان غائبًا - فحلف ألَّا ينتهي حتى يُهْرِيقَ دمًا في أصحاب محمد! فخرج

---

(١) رواه البيهقي، وابن أبي شيبة، وعبد الرزاق في مصنفه، والدارقطني، والطبراني في الأوسط، وقال أبو بكر الهيثمي: « رجاله رجال الصحيح ».

(٢) الموطأ.

يتبع أَثَرَ النبي ﷺ، فنزل النبي ﷺ منزلًا، فقال: « **مَنْ رجلٌ يَكْلَؤُنَا ليلَتنا هذه؟** » فانتدب رجلٌ من المهاجرين ورجلٌ من الأنصار [أَنْفُسَهُمَا]، فقالا: نحن يا رسول اللَّـه! قال: فكونوا بِفَمِ الشِّعْبِ! قال: وكانوا نزلوا إلي شِعْبٍ من الوادي. فلما خرج الرجلان إلى فَمِ الشِّعْبِ! قال الأنصاريُّ للمهاجري: أَيُّ الليل أَحَبُّ إليك أَنْ أَكْفيكَهُ: أوله أو آخره؟ قال: اكفني أَوَّله. فَاضْطَجَعَ المهاجري فَنَامَ، وقام الأنصاري يصلي.

وأتى الرجلُ [يعني الْمُشرك] فلما رأى شَخْصَ الرجلِ [المسلم قائمًا يصلي] عَرَفَ أنه رَبِيئَةُ القوم [أي: حارس المسلمين]، فرماه بسهم فوضعه فيه! فنزعه فوضعه وثبت قائمًا، ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه، فنزعه فوضعه وثبت قائمًا، ثم عاد له بثالث، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم أَهَبَّ صاحبه، فقال: اجلس فقد أُتِيتُ! فَوَثَبَ [المهاجري] ! فلما رآهما الرجلُ عرف أنْ قَدْ نَذَرُوا به فهرب! فلما رأى المهاجريُّ ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان اللَّـه! ألا أَهْبَبْتَني؟ قال: كنتُ في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنْفِذَهَا! فلما تَابَعَ الرَّمْيَ ركعتُ فأَرَيْتُكَ. وَايْمُ اللَّـهِ لولا أنْ أُضيعَ ثَغْرًا أمرني رسولُ اللَّـه ﷺ بحفظه لَقَطَعَ نَفَسِي قبل أن أقطعها أو أُنْفِذَهَا!)[١].

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، وابن حبان، و البيهقي، وابن خزيمة، والدارقطني، والحاكم وصححه. كما رواه البخاري معلقًا مع اختصار القصة. وقد حسنه الشيخ شعيب =

وعن ابن أبي مُليكة قال: (صحبتُ ابنَ عباس - رضي اللَّه عنهما - من مكة إلى المدينة، فكان إذا نزل قام شَطْرَ الليل! فسأله أيوب: كيف كانت قراءتُه؟ قال: قرأ: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾ [ق: ١٩]. فجعل يرتل ويُكثر في ذلك النشيج!)[1] والنشيج: شدة البكاء!

فيا حسرةً على العباد!.. لو يدركون ما هذه الصلوات؟ .. ويا حسرة ثم يا حسرة! على شباب وكهول من أبناء هذه الأمة، تعددتْ بهم السبل من هنا وهناك، وتفرقتْ بهم الأهواء، وانغمسوا في التيه من كلِّ صوبٍ، وأضاعوا هذه الصلوات، خشوعَها ومواقيتَها وجمالَها؛ فصدق عليهم قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩].

تلك آية فاصلة بين نوعين من الأجيال، بينهما ما بين النور والنار من دلالة، فللآية رهبة عظيمة لو تدبرتها، اقرأها ها هي ذي كاملة، فتدبر: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ

=الأرناؤوط في تعليقه على المسند، كما حسنه الشيخ الألباني في تعليقه على سنن أبي داود.

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٣/ ٣٤٢).

صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ ﴾ [مريم: ٥٨ - ٦٠].

ولذلك فقد جعل اللّـه الصلاة هي آية المسلم، والعلامة الجميلة التي تميزه في مسيرة التاريخ النبوي، فهي الفصل الذي لا يعرف إلا به. والنور الذي لا يمشي إلا به. وما مدح اللّـه تبارك وتعالى أصحاب رسول اللّـه بشيء كما مدحهم بما كانوا عليه من مداومة الصلاة! قال ﷻ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وإنما اكتسبوا صِفتَيْهم الأولِيين؛ الجهادية: (أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ)، والخُلُقِيَّة: (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)؛ من كونهم على صلاتهم دائمين، بالليل والنهار. وهو قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ الآية؛ لأن ذلك هو المعين الصافي الذي يتزود منه المسلم الصادق. من حيث إن قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ فيه إشارة إلى أن ذلك هو دأبهم وحالهم المستمر في حركاتهم التعبدية؛ إذ التعبير باسم الفاعل جمعًا (رُكَّعًا سُجَّدًا)، في سياق الفعل المضارع: (تراهم)؛ يوحي بصورة حية لقافلة المؤمنين، وهم منخرطون في حركة الصلاة المتواترة، من غير فتور ولا

انقطاع، سيرًا مستمرًّا حتى كان ذلك صفةً ثابتة لهم، حيثما تراهم (تراهم ركعًا سجدًا)[١].

***

(١) من كتابنا: « بلاغ الرسالة القرآنية » بتصرف.

البيان السادس

في أن فضل الصلوات الخمس عظيم عند اللّه وأنهن كفارات للخطايا والذنوب، ومطهرات للبدن والروح!

قَالَ اللّـه تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللّـه ﷺ، يقول: « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنْ نَهرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّات، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ[١] شَيء؟» قالوا: لا يَبْقَى منْ دَرَنِهِ شَيء، قَالَ: « فَذلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللّـه بِهِنَّ الخَطَايا »[٢].

وَعَن جَابر ﷺ أن رسولَ اللّـه ﷺ قال: «مَثَلُ الصَّلَوات الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوم خَمْسَ مَرَّات »[٣].

---

(١) الدَّرَنُ: الوسخ. (٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم. ومعنى الغَمْر: العميق الكثير الماء.

وَعَنْ عثمان ﷺ أن رسول اللّـه ﷺ قال: « ما من مسلم يتطهر فيتم الطهور الذي كتب اللّـه عليه، فيصلي هذه الصلوات الخمس إلا كانت كفارة لما بينهن »[١].

وعن ابن مسعود ﷺ : (أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ خطيئةً، فَأتى النبيَّ ﷺ فَأَخْبرَهُ فَأَنْزَلَ اللّـه تَعَالَى:﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]. فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلِي هَذَا؟ قَالَ: « لـجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ »)[٢].

وَعَنْ أَبِي هريرة ﷺ أَنَّ رسول اللّـه ﷺ قَالَ: « الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنهُن، مَا لَمْ تُغشَ الكَبَائِرُ »[٣].

وَعَنْ عُثمان بن عفان ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسول اللّـه ﷺ يقول: « مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَها، وَخُشُوعَهَا، وَرُكوعَهَا، إِلا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوب مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرةٌ، وَذلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ »[٤].

* * *

---

(١) رواه مسلم. (٢) متفق عليه.

(٣، ٤) رواه مسلم.

البيان السابع

في خصوص فضل صَلاتَيْ الصبح والعصر
وما فيهما من أسرار..!
وأن المحافِظَ عليهما بجماعتهم محفوظٌ
بضمان اللَّه وسلامه في الدنيا
آمِن من النار في الآخرة، بل كان من أهل المنازل العالية في الجنة!

قال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨]. وقال ﷻ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ [ق: ٣٩].

وَعَن أَبِي موسى الأشعري رضي الله عنه أَنَّ رسول اللَّـه ﷺ قَالَ: « مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ! »[١] ومعنى « البَرْدَيْنِ »: الصُّبْحُ والعَصْرُ وعن أَبِي زهير عُمـارة بن رُؤَيْـبَةَ رضي الله عنه قَـالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّـه ﷺ يقول: « لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ

---

(١) متفق عليه.

صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا »[١] يعني: الفَجْرَ والعَصْرَ.

وعن جُنْدُب بن سفيان ﷺ قَالَ: قَالَ رسول اللَّه ﷺ: « مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّه، فَانْظُرْ يَا ابْنَ آدَمَ، لَا يَطْلُبَنَّكَ اللَّه مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْء »[٢] وعن بُرَيْدَةَ ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: « مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ »[٣].

وعن جرير بن عبد اللَّه البَجَلِيِّ ﷺ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّه ﷺ؛ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ! فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا!» يَعْنِي: الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: ١٣٠] [٤].

وعن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول اللَّه ﷺ: « يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بالليل، وملائكة بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمُ اللَّه - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ »[٥].

***

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري.
(٤، ٥) متفق عليه.

البيان الثامن

في فضل صلاة الجماعة بالمسجد، وما رَتَّبَ اللَّه لها من الأجر العظيم وأن التَّخلف عن شهود الجماعات يجعل صاحبه على خطر عظيم!

عن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - أنَّ رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ: « صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صلاة الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً »(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رَسُولَ اللَّه ﷺ قال: « صَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعةٍ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ وفي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذلِكَ أَنَّهُ إذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوء، ثُمَّ خَرَجَ إلى المَسْجِد، لاَ يُخرِجُهُ إلَّا الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إلَّا رُفِعَتْ له بِهَا دَرَجَة، وَحُطَّتْ عَنهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الملائكةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ في مُصَلَّاه ما لم يحدثْ، تقول: اللَّهم صلِّ عليه، اللَّهم أرحمه، ولا يزال في صلاة مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ! »(٢).

وعنه ﷺ قَالَ: « أَتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ أعْمَى، فقَالَ:

(١، ٢) متفق عليه.

يا رَسُولَ اللَّـه! لَيسَ لي قَائدٌ يَقُودُنِي إلى الْمَسْجِد، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّـه ﷺ أنْ يُـرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّي في بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فلَمَا وَلَّى دَعَاهُ، فقَالَ لَهُ: « **هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاء بِالصَّلَاة؟** » قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: « **فَأَجِبْ** »[1].

وعَنَ ابن أُمِّ مكتوم ﷺ وهو الأعمى المذكور في الحديث السابق - أنَّه قَالَ: « يا رَسُولَ اللَّـه، إنَّ المَدينةَ كَثيرةُ الهَوَامِّ وَالسِّبَاعِ! فقَالَ رَسُولُ اللَّـه ﷺ: « **تَسْمَعُ حيَّ على الصلاة حَيَّ عَلَى الفَلاحِ؟ فَحَيَّهلًا!** »[2].

وَعَن أَبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُول اللَّـه ﷺ قَالَ: « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْتَطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالَصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثم آمر رَجُلًا فيؤُمَّ النَّاس، ثُمَّ أُخَالِفَ إلى رِجَالٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهمْ بِالنَّارِ** »[3].

وَفي صحيح مسلم عن ابن مسعود ﷺ قَالَ: « **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّـه تَعَالَى غدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ! فَإنَّ اللَّـه شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رَوَاهُ النسائي، وأبو دَاوُدَ، وابن خزيمة، والحاكم، والبيهقي، وحسنه النووي في رياض الصالحين. وقال: (معنى «حَيَّهلًا» : تعال!) وصححه الألباني في المشكاة، وفي صحيح سنني النسائي وأبي داود.

(٣) متفق عليه.

الهُدَى، وإنهن من سنن الهدى، وَلَوْ أنكم صليتم في بيوتكم كَمَا يُصَلِّي هذا المُتخَلِّفُ فِي بَيتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُم لَضَلَلْتُمْ! وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاق! وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ! »[١].

وَعَن أَبِي الدرداء ﷺ قال: سمعتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يقول: « مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَريَة، وَلاَ بَدْوٍ، لا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاةُ إلا قَد اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِم الشَّيْطَانُ. فَعَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، فَإِنَّما يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَةَ »[٢].

وَعَن أَبِي سَعِيد الخدريِّ ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: « الصلاةُ فِي جَمَاعَةٍ تَعْدِلُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ صَلَاةً! فإِذَا صَلَّاهَا فِي فَلاةٍ فَأَتَمَّ رُكوعَهَا وَسُجُودَهَا بَلَغَتْ خَمْسِينَ صَلَاةً »[٣] والمقصود بصلاتها في فلاة - وهي الصحراء - المسافر الذي لا يشغله

---

(١) رواه مسلم. ومعنى« يُهَادَى» : أي يعتمد على رَجلين، فيمشي بينهما متمايلًا من شدة الضعف والمرض!

(٢) القاصية: المنعزلة عن القطيع، الشاردة بعيدًا عنه. والحديث رَوَاهُ أحمد، والنسائي، وأبو داود، وابن حبان، وابن خزيمة، والحاكم، والبيهقي في الكبرى والشعب. وحسنه النووي في رياض الصالحين. كما حسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، والمشكاة، وفي صحيح سنني النسائي وأبي داود. وقال في صحيح الترغيب: حسن صحيح. كما حسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند.

(٣) رواه أبو داود، وابن حبان، والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما. كما صححه الألباني في صحيح الجامع، وصحيح الترغيب، وصحيح أبي داود.

تعب سفره ومشاقه عن أداء صلاته. فرغم انفراده كان أجره مضاعفًا إن هو أحسن أداء الصلاة في سفره.

* * *

البيان التاسع

في فضل شهود الجماعة في صَلَاتَيْ الصبح والعشاء وما فيهما من بركات وأسرار وحجم الخسارة الناجمة عن إضاعةِ جماعتهما!

عن عثمان بن عفان ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـه ﷺ يقول: « مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَة، فَكَأَنَّـمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَة، فَكَأَنَّـمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ »[١]. وفي رواية أبي داود والترمذي عن عثمان بن عفان ﷺ أن رَسُولَ اللَّـه ﷺ قالَ: « مَنْ شَهِدَ العِشَاء فِي جَمَاعَة كَانَ لَهُ قيام نصف ليلة، وَمَنْ صلَّى العشاء والفجر في جماعة كان له كَقِيَامِ لَيْلَةِ »[٢]، وعن أَبي هريرة ﷺ أَنَّ رسول اللَّـه ﷺ قَالَ: « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ والصَّفِ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْه لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ، ولو يَعْلَمُونَ

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح سننيهما، وفي صحيح الترغيب.

مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا في العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا !»[١].

وعنه ﷺ أن رَسُولَ اللَّـه ﷺ قال: « **لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلَ عَلَى الـمُنَافِقِينَ مِنْ صَلاة الفَجْرِ وَالعِشَاءِ ! وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَـوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا** »[٢].

* * *

(١) متفق عليه. ومعنى العَتَمَة: وقت صلاة العشاء، وهي أول ظُلْمَةِ الليل. والاسْتِهَامُ: الاقْتِرَاعُ. وَالتَّهْجِيرُ: التَّبْكِيرُ إِلَى الصَّلاةِ.

(٢) متفق عليه.

البيان العاشر

في فضل انتظار الصلاة بالمسجد وأن الملائكة تجالس المؤمن المرابط فيه؛ ما دام متوضئًا ينتظر الصلاة!

عَنْ أَبِي هُريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّـه ﷺ قَالَ: « لا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاة مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ، لا يَمنَعُهُ أَنْ يَنقَلِبَ إلى أهلِهِ إلا الصَّلاةُ »[(١)].

وعنه رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّـه ﷺ قَالَ: « الْـمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ! اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ »[(٢)].

وَعَنْ أَنس رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّـه ﷺ أَخَّرَ صَلَاةَ العِشَاءِ إِلى شَطْرِ اللَّيْلِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ بَعْدَمَا صَلَّى، فَقَالَ: « صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا، وَلَمْ تَزَالُوا في صلاةٍ مُنذُ انْتَظَرْتُمُوهَا »[(٣)].

---

(١) متفق عليه.

(٢، ٣) رواه البخاري.

وعن أبي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ ﷺ أن رسول اللّـه ﷺ قال: « صَلاةٌ في إِثْرِ صَلاةٍ لَا لَغْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ في عِلِّيِّينَ »[١].

* * *

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والبيهقي في الكبرى والشعب، والطبراني في الكبير والأوسط والصغير. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، وصحيح الترغيب، وصحيح أبي داود، والمشكاة. بينما صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند.

البيان الحادي عشر

في أن المشي إلى المساجد مغفرة ونور، وفوز بأعلى منازل الجنة!

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]

وقال سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٨].

وَعَن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ غَدَا إلى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أعَدَّ اللَّـه لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»(١).

وعنه ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تطَهَّرَ في بَيْتِهِ، ثُمَّ مَضَى

---

(١) متفق عليه.

إلى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّـه لِيَقْضِي فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّـه، كَانَتْ خُطُواتُهُ، إحْداها تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً »[١].

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّـه ﷺ قالَ: « مَنْ خَرَجَ مِنْ بيتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ! وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى لاَ يَنْصِبُهُ إِلَّا إِيَّاهُ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ! وَصَلَاةٌ عَلَى إِثْرِ صَلاَةٍ لَا لَغْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ »[٢].

وَعَن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: « كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ لا أَعْلمُ أَحَدًا أبْعَدَ مِنَ المَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَتْ لا تُخْطِئُهُ صَلاَةٌ، فَقيلَ لَهُ: لَوِ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا لِتَرْكَبَهُ في الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ؟[٣] قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أنَّ مَنْزِلِي إلى جَنْبِ المَسْجِدِ! إِنِّي أُرِيدُ أنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إلى المَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إذَا رَجَعْتُ إلى أهْلِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّـه ﷺ: « قَدْ جَمَعَ اللَّـه لكَ ذَلِكَ كُلَّه »[٤].

وَعَن جَابر ﷺ قَالَ: « خَلَتِ البِقَاعُ حولَ المَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أنْ يَنتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ،

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والبيهقي في الكبرى والشعب، والطبراني في الكبير والأوسط والصغير. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، وصحيح الترغيب، وصحيح أبي داود، والمشكاة. بينما صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند.

(٣) الرمضاء: شِدة الـحَرِّ. (٤) رواه مسلم.

فَقَالَ لَهُمْ: « بَلَغَنِي أَنَّكُم تُرِيدُونَ أَنْ تَنتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟» قالوا: نعم يا رَسُولَ اللَّـه، قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ: « بَنِـي سَلِمَةَ دِيَارَكُم تُـكْتَبْ آثَارُكُمْ! دِيَارَكُمْ تُـكْتَبْ آثَارُكُمْ! » فقالـوا: مَا يَسُرُّنَا أنا كُنَّا تَحَوَّلْنَا[١].

وَعَن أَبِي مُوسى ﷺ أن رَسُولَ اللَّـه ﷺ قال: « إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى فَأَبْعَدُهُمْ! وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ أعظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ »[٢].

وَعَن بُرَيْدَةَ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: « بَشِّرُوا الْـمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ! »[٣] وعن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رسُول اللَّـه ﷺ قَالَ: « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّـه بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ » قَالُوا: بَلَى يا رَسُول اللَّـه؟ قَالَ: « إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِـكُمُ الرِّبَـاطُ! فذَلِكُم الرِّبَـاطُ »[٤].

---

(١) رواه مسلم، وروى البخاري نحوه مختصرًا من حديث أنس.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أبو داود، والترمذي عن بريدة. ورواه ابن ماجه، والحاكم، عن أنس وعن سهل بن سعد. كما رواه البيهقي في الكبرى وفي الشعب، والطبراني في الكبير والأوسط، وأبو يعلى، وابن خزيمة. وصححه الألباني في صحيح الجامع، والمشكاة، وصحيح الترغيب، وصحيح السنن الثلاثة.

(٤) رواه مسلم.

البيان الثاني عشر

في أن يوم الجمعة أفضل الأيام عند اللّـه على الإطلاق لِمَا جعل اللّـه فيه من الأسرار الكونية والحقائق الإيمانية

ومن ثَمَّ فقد وجبت صلاة الجمعة على المسلمين، وتميزت بفضل عظيم! فتأَكَّدَ نَدْبُ الاغتسالِ لَهَا والتَّطَيُّبِ، والتبكير إِلَيْهَا، والصلاة على النبي ﷺ يومَها، والإكثار من الدعاء؛ إذ فيها ساعة الإجابة الخاصة! وفيها من الأسرار القَدَرِيَّةِ والعجائب التكوينية ما يملأ القلبَ رَهَبًا!

قَالَ اللَّـه تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩، ١٠].

وَعَنْ أَبي هريرة ﵁ أن رسول اللّـه ﷺ قال: « خَيْرُ يَومٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ: فِيهِ خُلِقَ آدمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ

الجَنَّة، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا! »[١] تلك رواية مسلم، وللحديث تفصيل عجيب في رواية أخرى صحيحة؛ ونصها أنه ﷺ قال: « خَيْرُ يوم طَلَعتْ فيه الشمسُ يَوْمُ الجمعة: فيه خُلِقَ آدم، وفيه أُهبط، وفيه تِيبَ عليه، وفيه قُبِضَ وفيه تقومُ السَّاعةُ! ما عَلَى وَجهِ الأَرضِ مِن دابةٍ إلَّا وَهِي تُصبح يومَ الجمعة مُصِيخَةً حتَّى تطلعَ الشَّمسُ؛ شَفقًا من السَاعةِ! إلا ابْنَ آدم! وفيه ساعةٌ لا يصادفُها عَبْدٌ مُؤمنٌ وَهَو في الصَّلاة يَسأَلُ اللَّـه شيئًا إلَّا أَعْطَاه إيَّاهُ »[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول اللَّـه ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أتى الجُمُعَةَ، فَاستَمَعَ وأنصَتَ، غُفِرَ لهُ مَا بَيْنهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلاَثَةِ أيام! وَمَنْ مَسَّ الحَصَى فَقَدْ لَغَا »[٣].

وَعَنْهُ ﷺ أن النبيَّ ﷺ قَالَ: « الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إلَى رَمَضَان، مُكَفِّراتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ »[٤] وعنه وعن ابن عمر كليهما مَعًا –

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مالك، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، عن أبي هريرة مرفوعًا. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، وصحيح سننهم، وصحيح الترغيب، والإرواء. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند: « إسناده صحيح على شرط الشيخين ».

(٣، ٤) رواه مسلم.

رضي اللّـه عنهما - أنهما سَمِعَا رسولَ اللّـه ﷺ يقولُ عَلَى أعْوَادِ مِنْبَرِهِ: « لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللّـه عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ! »(١).

وَعَن ابن عمر رضي اللّـه عنهما: أنَّ رسول اللّـه ﷺ قَالَ: « إِذَا جَـاء أَحَدُكُـمُ الجُمُعَـةَ فَلْيَغْتَسِـلْ! »(٢) وعن أَبي سعيد الخدري ﷺ أنَّ رسول اللّـه ﷺ قَالَ: « غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ! »(٣) وعن سَلمَان ﷺ أن رسول اللّـه ﷺ قَالَ: « لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يومَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِن طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّـمَ الإمَامُ، إلا غُفِـرَ لَـهُ مَا بَيْنَـهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى »(٤).

وَعَن أَبي هريرة ﷺ أنَّ رسول اللّـه ﷺ قَالَ: « مَنِ اغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ في الساعة الأولى فَكَأنـما قَرَّبَ بَدَنَةً [أي: جملًا أو ناقةً]، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأنـما قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ في الساعةِ الثَّالِثَةِ فَكَأنـما قرب كَبْشًا أقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأنـما قَرَّبَ دَجاجَةً، وَمَنْ رَاحَ في

---

(١) رواه مسلم. (٢، ٣) متفق عليه.

(٤) رواه البخاري.

السَّاعَةِ الخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ »[١] ومعناه أنه لا فضل لمن جاء متأخرًا، وليس له إلا أجر الفريضة!

وعنه ﷺ: أنَّ رسول اللَّه ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: « **فِيهَا سَاعَةٌ لا يُوافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّه شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ** » وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُها[٢] وعن أَبِي بُرْدَةَ ابن أَبِي موسى الأشعريِّ ﷺ قَالَ: قَالَ عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما: أَسَمِعْتَ أباكَ يُحَدِّثُ عَنْ رسول اللَّه ﷺ في شأنِ سَاعَةِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: « **هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلاةُ** »[٣].

وعن أوس بن أوسٍ ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: « **إِنَّ من أفضلِ أَيامكمْ يومَ الجمعة، فيه خُلِقَ آدم، وفيه قُبِضَ، وفيه النفخةُ، وفِيه الصعقةُ، فأكثروا علي من الصلاة فيه! فإنَّ صلاتكم معروضةٌ عليَّ** » **قالوا: يا رسول اللَّه وكيف تُعْرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ؛ أي يقولون: قد بَلِيتَ، فقال:** « **إن اللَّه حَرَّمَ على الأرضِ أَنْ تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ** »[٤].

(١، ٢) متفق عليه. (٣) رواه مسلم

(٤) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، عن أوس بن أوس، وصححه النووي في رياض الصالحين. كما صححه الألباني في =

وَعَن أَنسٍ ﷺ أَنَّ رسول اللَّـه ﷺ قال: « إِنَّ في الجنةِ لَسوقًا يَأْتونها كلَّ جمعةٍ، فِيْها كُثبان المِسك، فَتهِب ريحُ الشّمالِ فَتَحثوا في وُجوهِهِم وَثيابِهِم فيزدادونَ حُسْنًا وجَمالًا، فيرجعونَ إلى أهليهم وَقَدْ ازدادوا حُسْنًا وجمالًا، فيقولُ لهم أهلوهم: واللَّه لَقَدْ ازددتم بَعْدَنَا حُسْنًا وجمالًا! فيقولونَ: وأنتمْ واللَّه لَقَدْ ازددتم حُسْنًا وجَمالًا »[١].

من أجل هذا وذاك شدد النبي ﷺ النكير على ترك صلاة الجماعة تهاونًا؛ حتى بلغ ثلاث جُمَعٍ! فعن أبي الجعد ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: « مَنْ تَرَكَ ثلاثَ جُمَعٍ تهاونًا بها؛ طَبَعَ اللَّه على قَلْبِهِ »[٢] وعن أسامة بن زيد ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: « مَنْ تَرَكَ ثلاثَ جُمُعَاتٍ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ كُتِبَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ »[٣].

* * *

=صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة، والمشكاة، وصحيح الترغيب، والإرواء. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند: إسناده صحيح.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد، وأصحاب السنن الأربعة، والحاكم. وصححه الألباني في صحيح الجامع، وفي صحيح سننهم، والمشكاة، وصحيح الترغيب. وحسنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند.

(٣) رواه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع. وروى نحوه ابن حبان وابن خزيمة عن أبي الجعد الضمري مرفوعًا، وصححه الألباني في صحيح الترغيب.

البيان الثالث عشر

في فضل نوافل الصلوات وقيام الليل خاصة وأن الصلاة في جوف الليل خير النوافل على الإطلاق! وأنها أَقْرَبُ الطرق الموصلة إلى اللَّه! فهي تنير القلب، وتجدد الإيمان، وتملأ الوجدان أنسًا باللَّه وثقةً به تعالى وهي غذاء للروح، وشفاء للنفس، وعلاج للبدن!

قَالَ اللَّـه تَعَالَى لرسوله ﷺ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩]. وقال له أيضًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾ [المزمل: ١ - ٤]. وقال سبحانه في حق المؤمنين الخُلَّصِ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦]. الآية، وقال ﷻ في وصف المتقين: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رَسُولَ اللَّـه ﷺ قال: « إِنَّ اللَّـه تَعَالَى

قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِـيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وَمَا تَقَـرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشَيء أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيه، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقرَّبُ إِلَيَّ بالنوافِلِ حَتَّى أحِبَّهُ، فَإِذَا أَحبَبْتُهُ كُنْتُ سَمعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَني لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ »[١].

وَعَن أَنس بنِ مَالك ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال فيما يرويه عن ربه: « إذَا تَقَرَّبَ العَبْدُ إليَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إلَيْه ذِرَاعًا، وَإذَا تَقرَّبَ إلَيَّ ذِرَاعًا تَقَربْتُ مِنهُ بَاعًا، وإِذَا أَتَانِي يَمشي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً »[٢]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللّـه ﷺ: « الصلاةُ خَيْرُ مَوْضُوعٍ فَمَنِ استَطاعَ أَنْ يَسْتكْثِرَ فَلْيَسْتكْثِرْ »[٣] ومعنى قوله: « خَيْرُ مَوْضُوعٍ » أي: خير تشريع وُضِعَ للناس. وعن عقبة ابن عامر ﷺ أَن رسول اللّـه ﷺ قال: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يتوضأ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثم يقوم فيصلي ركعتين، يُقْبِلُ عليهما بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إلَّا وَجَبَتْ له الْـجَنَّة »[٤].

ولقيام الليل قصة أخرى! فَمن أَحَبِّ الأحاديث إلى قلبي قَوْلُهُ ﷺ: « مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آياتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ،

(١، ٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع وصحيح الترغيب.

(٤) رواه مسلم.

وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الـمُقَنْطِرِينَ »(١) وعن عائشة - رضي اللّـه عنها - قالت: « كَانَ النبيُّ ﷺ يَقومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّـه وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟ »(٢).

وعن علي رضي الله عنه: (أَنَّ النبيَّ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ لَيْلًا، فَقَالَ: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟»)(٣) وَعَن أَبِي هُريرة وأَبي سَعيدٍ الخُدرِي - رضي اللَّـه عنهما - أن رسولَ اللَّـه ﷺ قال: « إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا - أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّكِرَاتِ »(٤) وعن سالم بن عبدِ اللَّـه بن عمر ابن الخطاب - رضي اللَّـه عنهم - عن أبيه أَنَّ رسولَ اللَّـه ﷺ قَالَ: « نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّـه، لَوْ كَانَ يُصَلِي مِنَ اللَّيْلِ » قَالَ

---

(١) رواه أبو داود، والبيهقي في الشعب ، وابن حبان، وابن خزيمة، عن عبد اللّـه ابن عمرو. وصححه الألباني في صحيح الجامع، وفي السلسلة الصحيحة، وصحيح الترغيب، وصحيح سنن أبي داود.

(٢) متفق عليه. ومتفق على نحوه عَن المُغِيرَة بن شُعبة.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والطبراني في الأوسط والصغير، كلهم عن أبي هريرة، أو أبي سعيد الخدري، أو عنهما معًا، وصححه النووي في رياض الصالحين. كما صححه الألباني في صحيح الجامع، وصحيح سننهم، والمشكاة، وصحيح الترغيب. وفيه: « قال الحافظ: صحيح على شرط الشيخين».

سَالِمٌ: فكَانَ عَبدُ اللَّـهِ بَعْدَ ذَلِكَ لا يَنامُ مِنَ اللَّيلِ إلَّا قَلِيلًا[١]

وَعَن عَبد اللَّـه بن عَمرو بن العاصِ - رضي اللَّـه عنهما - قَالَ: قَالَ رسول اللَّـه ﷺ: « **يَا عبدَ اللَّـه! لا تكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيلَ فتَرَكَ قِيامَ اللَّيلِ** »[٢].

وَعَن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: (ذُكِرَ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أصْبَحَ، قَالَ: « **ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيطَانُ في أُذنَيْهِ** »)[٣].

وَعَن أَبِي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول اللَّـه ﷺ قَالَ: « **يَعقِدُ الشَّيطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأسِ أحَدِكُمْ إذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ! فَإنِ اسْتَيقَظَ، فَذَكَرَ اللَّـه تَعَالَى انحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإنْ تَوَضَّأَ انْحلَتْ عُقدَةٌ، فَإنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإلَا أَصْبحَ خَبيثَ النَّفسِ كَسْلَانَ** »[٤].

وَعَن عَبد اللَّـهِ بنِ سلَّام رضي الله عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: « **أيُّها النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ** »[٥]، وَعَن أَبِي هُريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّـه ﷺ

(١ - ٤) متفق عليه.

(٥) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والدارمي، والحاكم، وقال: « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ». وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. كما صححه الألباني في صحيح الجامع، والإرواء، والسلسلة الصحيحة، وصحيح الترغيب وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين»

قال: « أَطِبِ الكلامَ، وأَفْشِ السلامَ، وَصِلِ الأرحامَ، وصَلِّ بالليل والناس نيام؛ ثم ادْخُلِ الجنةَ بسلام »(١). وَعَن أَبي مَالك الأَشْعَري ﷺ أن رسول اللَّـه ﷺ قال: « إنَّ في الجنةِ غُرَفًا يُـرَى ظَاهِرُهَا من بَاطِنِهَا، وبَاطِنُهَا من ظَاهِرِهَا، أعدَّها اللَّـه تعالى لمن أطعم الطعامَ، وألانَ الكلامَ، وتابعَ الصيامَ، وصلَّى بالليل والناس نيام »(٢).

وَعَنْ أَبي هُريرة ﷺ أن رسولَ اللَّـه ﷺ قال: « أفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ اللَّـهِ المُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ »(٣) وعن ابن عمر - رضي اللَّـه عنهما - أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: « صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ »(٤) وعنه ﷺ قَالَ: (كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ)(٥).

وَعَن أَنس ﷺ قَـالَ: (كَانَ رسـولُ اللَّـهِ ﷺ يُفْطِـرُ مِنَ

---

(١) رواه ابن حبان، وأبو نعيم في الحلية، عن أبي هريرة. وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٢) رواه أحمد، وابن حبان، والبيهقي، عن أبي مالك الأشعري، ورواه الترمذي عن علي، والطبراني في الكبير، والحاكم عن ابن عمرو، وصححه على شرطهما. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، والمشكاة، وصحيح الترغيب. وحسنه أيضًا الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند.

(٣) رواه مسلم.

(٤، ٥) متفق عليه.

الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أَلَّا يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لا يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لَا تَشَاء أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيلِ مُصَلِّيًا إلا رَأَيْتَهُ، وَلا نَائِمًا إِلَّا رأَيْتَهُ)[١].

وَعَن عائشة - رضي اللّـه عنها -: (أَنَّ رسولَ اللّـه ﷺ كَانَ يُصَلِّي إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً - تَعْنِي في اللَّيلِ- يَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أَحَدُكُمْ خَمسِينَ آيةً قَبْلَ أَنْ يَرفَعَ رَأْسَهُ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الفَجْرِ، ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الـمُنَادِي للـصَلاَةِ)[٢] وعنها رضي اللّـه عنها قالت: (مَا كَانَ رسولُ اللّـه ﷺ يَزِيدُ - في رَمَضَانَ وَلَا في غَيْرِهِ - عَلَى إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً: يُصَلي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاثًا، فَقُلتُ: يَا رسولَ اللّـهِ، أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ: « **يَا عَائِشَةُ! إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي** »)[٣].

وَعَن أَبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: « **إِذَا قَامَ أَحَدُكَمْ منَ اللَّيْلِ فَلْيَفْتَتِحِ الصَّلَاةَ بركْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ** » وعن عائشة - رضي اللَّـه عنها - قالت: (كَانَ رسولُ اللَّـه ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ

(١، ٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه.

افْتَتَحَ صَلاَتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ)[١] وَعَن ابن مسعود ﷺ قَالَ: (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سوءٍ، قيلَ: مَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَممتُ أن أَجْلِسَ وَأَدعَهُ)[٢].

وَعَن حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبي ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المائةِ، ثُمَّ مَضَى، فقلتُ: يُصَلِّي بِهَا في رَكْعَةٍ فَمَضَى، فقلتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاء فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَها، يَقرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بآيَة فِيهَا تَسبيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: « **سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ!** » فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: « **سَمِعَ اللَّـه لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ** » ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَريبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: « **سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى** » فَكَانَ سجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ)[٣].

وَعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: (سُئِلَ رسولُ اللَّـه ﷺ أَيُّ الصَّلَاةَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: « **طُولُ القُنُوتِ** »)[٤] والمقصود بطول القنوت هنا: طول القيام عند القراءة للقرآن في الصلاة، كما شرحه النووي في رياض الصالحين.

وَعَن عَبد اللَّـه بن عَمرو بنِ العاص - رضي اللَّـه عنهما -:

---

(١) رواه مسلم. (٢) متفق عليه.

(٣، ٤) رواه مسلم.

أَنَّ رسولَ اللَّـه ﷺ قَالَ: « **أَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى اللَّـه صَلاةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّـه صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ الليل وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَومًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا** »(١) وَعَن عائشة - رضي اللَّـه عنها -: (أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيلِ، وَيَقُومُ آخِرَهُ فَيُصَلِّي)(٢).

وَعَن جَابر ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّـه ﷺ يقول: « **إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لاَ يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّـه تَعَالَى خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ** »(٣) وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّـه ﷺ قال: « **يَنْزِلُ ربُّنا كُلَّ ليلة إلى سَماءِ الدُّنْيَا حينَ يَبْقَى ثُلُثُ الليلِ الآخِرِ، فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيب له؟ مَنْ يسألني فأعطيه؟ مَنْ يستغفرني فأغفر له؟** »(٤). وفي رواية لمسلم: « **إذا مضى شطر الليل - أو ثلثاه - ينزل اللَّـه - تبارك وتعالى- إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائلٍ فَيُعْطَى؟ هل من دَاعٍ فَيُسْتَجابَ له؟ هل من مستغفر يُغفر له؟ حتى ينفجر الصبح** »(٥).

وعن عمرو بن عبسة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: « **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبدُ من الرَّبِّ في جَوْفِ الليلِ، فإن استطعتَ أَنْ تَكونَ**

(١، ٢) متفق عليه. (٣) رواه مسلم.
(٤) متفق عليه. (٥) رواه مسلم.

ممن يَذْكُرُ اللَّـه في تلك الساعةِ فكُنْ »[١].

وَعَن عَائشة - رضي اللَّـه عنها - قالت: (كَانَ رسولُ اللَّـه ﷺ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ مِنَ اللّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّـهَارِ ثِنْتَيْ عَشرَةَ ركْعَـةً)[٢] وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسولَ اللَّـه ﷺ قال: « مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فيما بَيْنَ صَلَاةِ الفَجْرِ وصلاة الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ »[٣] والمراد بقراءة الحزب هنا: التهجد بالقرآن.

وَعَن عَائشة - رضي اللَّـه عنها - أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: « إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ في الصَّلَاة فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبَّ نَفْسَهُ »[٤]. وعن أَبـي هـريرة ﷺ أن رسولَ اللَّـه ﷺ قال: « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعْجَمَ القُرْآنَ عَلَى لِسَانِهِ[٥]، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ فَلْيَضْطَجع! »[٦].

* * *

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي، واللفظ له، وقال: « حديث حسن صحيح ». كما رواه الحاكم وقال: « صحيح على شرط مسلم »، ثم صححه الألباني في صحيح الترغيب، والمشكاة، والكلم الطيب، وصحيح أبي داود والترمذي.

(٢، ٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) استعجم عليه القرآن: استغلق عليه، ولم ينطلق به لسانه لغلبة النعاس!

(٦) رواه مسلم.

البيان الرابع عشر

في أن الخشوع هو روح الصلاة وجوهرها، فمن أضاعه فقد أضاعها!

وإنما بخشوع العبد في صلاته – قُنُوتًا في أفعالها، وشُهُودًا لمناجاة ربه بأقوالها - تكون للصلاة فائدتها الروحية والتربوية، وكذا أجرها وقبولها عند اللَّـه ﷻ وبقدر ما ينقص العبد من خشوعها تنقص فائدتها وأجرها؛ حتى لا يبقى له من ذلك شيء والعياذ باللَّـه!

قال رَبُّ الرحمةِ جَلَّ ذِكْـرُهُ وثنـاؤُه:﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ١، ٢]. وقال سبحانه: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥]. وقال ﷻ: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

هكذا أمر اللَّـه ﷻ بالصلاة خشوعًا وقنوتًا، وإنما حقيقة الصلاة الحضور مع اللَّـه، والاستغراق الكلي في مناجاته،

كما في حديث النبي ﷺ: « إنَّ أحدَكم إذا قام في صَلَاتِهِ فإنه يُنَاجِي ربَّه »(١) وإنما المناجاةُ شُهُودُ العَبْدِ لِوِصَالِ ربه في صلاته، وتَلَقِّيه لكلمات المحبة من الرحمن - كما سيأتي تفصيله في البيان الآتي - وهو عين الخشوع! فأي غياب عن شهود تلك الحقائق الإيمانية، بالانسياق إلى متاهات الشرود، أو الخروج عن شيء من أفعال الصلاة، أو الأداء السريع جدًّا لأفعالها؛ بما يخرجها عن طمأنينتها وسكينتها؛ فإنه يكون مفسدًا لخشوعها، وحاجبًا لأنوارها وبركاتها، ثم مانعًا لأجرها وقبولها!

ويكفينا من البيانات النبوية في التحذير من هذا الخلل الخطير حديثان عظيمان، هما محور حقيقة الخشوع في الصلاة! فأما الأول فهو حديثُ الْـمُسِيءِ صلاتَه، المشهور لدى الفقهاء والمحدثين؛ حيث أبطل النبي ﷺ صلاةَ من دخل المسجد، فصلاها بعجلة مفتونة، ونقرها نَقْرَ الغراب؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللَّـه ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّـه ﷺ فَرَدَّ رَسُولُ اللَّـه ﷺ السَّلَامَ، وَقَالَ: « ارْجِـعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ » فَرَجَعَ الرَّجُلُ فَصَلَّى كَمَا كَانَ صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّـه ﷺ: « وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، ارْجِـعْ

---

(١) متفق عليه.

فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ! ».. حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ! فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَ هَذَا! عَلِّمْنِي! قَالَ ﷺ: « إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا »[1].

فأنت ترى كيف كان يقول له في كل إعادة: « اِرْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ » نافيًا عن فعله حقيقة الصلاة! بسبب أدائه السريع لأفعالها، وعدم تخشعه فيها، وغياب اطمئنانه في ركوعها وسجودها، وجلوسها وقيامها، وتلاواتها وأذكارها، وسائر أفعالها وأقوالها! ولذلك لما جعل النبي ﷺ يعلمه الصلاة الصحيحة التامة؛ كان يُلزمه بالاطمئنان في كل هيئة من هيئاتها؛ لأن الطمأنينة أو السكينة هي مَظِنَّةُ الخشوعِ ومَنَاطُهُ. فلا خشوع بغير طمأنينة وسكينة وهدوء!

وللحديث روايات أخرى فيها زيادات صحيحة؛ منها قوله ﷺ: « حَتَّى تَطْمَئِنَّ مَفَاصِلُهُ وَتَسْتَرْخِيَ »[2] ومنها قوله ﷺ: « حَتَّى تَرْجِعَ الْعِظَامُ إِلَى مَفَاصِلِهَا »[3].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه النسائي، وصححه الألباني في صحيح سننه، وفي صفة الصلاة.

(٣) رواه أحمد، وصححه الألباني في صفة الصلاة، وشعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند.

وأما الحديث الثاني فهو حديث التحذير من خطر الشرود في الصلاة، مما قد يقع للمصلي عند الاستجابة لوسوسة الشيطان فيها، والتمادي في متابعة شريط الخيال الشيطاني؛ بما يُخرج المؤمن عن شهود صلاته، ويحجب قلبَه عن حضوره فيها، ويتيه به في خواطر دنيوية فاسدة؛ حتى إنه قد لا يدري ما يفعل في صلاته ولا ما يقول! وما ينتقصه ذلك كله من حسناته في أجرها! حتى إذا استغرقه الشرود في صلاته كلِّها بطلت كلُّها! وكانت لَغْوًا! وهو ما رواه الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه في حديث مخيف، قال: سمعتُ رسولَ اللَّـه ﷺ يقول: « **إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلا عُشُرُهَا، تُسُعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُها، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُها، نِصْفُهَا** »[1].

وهذان الحديثان يفسر بعضهما بعضًا، ويكمل أحدهما الآخر؛ بما يفيد أن المستعجل في صلاته إنما يبقى له من أجرها ما لم يستعجل فيه، وتحقق فيه بالطمأنينة والخشوع! وأما ما أداه بغير طمأنينة وخشوع، من ركوع أو سجود، أو تلاوة أو تشهد؛ فكأنما هو فِعْلٌ اقْتُطِعَ من صلاته! ورُبَّ

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي في الكبرى، وابن حبان، وأبو يعلى، والبيهقي في الكبرى وفي الشعب. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، وصحيح الترغيب، وصحيح أبي داود، وصفة الصلاة. بينما صححه في صلاة التراويح. كما صحح الشيخ شعيب الأرناؤوط سند أحمد مطلقًا.

صلاةٍ تُقْتَطَعُ أجزاؤها جزءًا جزءًا؛ حتى ما يبقى لصاحبها منها شيء! نسأل اللَّـه السلامة والغفران، ونعوذ به من الخسران والخذلان!

ومن ثم فقد وجب على العبد أن يجاهد نفسه في صلاته للتحقق بأمرين؛ **الأول**: صَبْرُ النفسِ على الرَّوِيَّةِ والهدوء في أفعال الصلاة وهيئاتها، والتزام السكينة والطمأنينة فيها. **والثاني**: صبر النفس على التحقق بمعاني الكلمات في أقوال الصلوات، من تلاوات وتسبيحات، وتكبيرات وتحميدات، وتحيات وتشهدات، وسائر ما فيها من أدعية وأذكار. فمن فعل ذلك رَجَا أن يكون - إن شاء اللَّـه - من الخاشعين في الصلاة، وأن يشمله المدح الإلهي الكريم، والثنـاء الرباني العظيم، من قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]. جعلني اللَّـه وإياكم منهم بفضله ورحمته، آمين!

* * *

البيان الخامس عشر

في أن الصلاة عمومًا - نافلتها وفريضتها - تعريفٌ باللّه ﷻ وهي شفاء للنفس، وتغذية للقلب، وقوة للبدن، ومعراج للروح، وباب للتوبة إلى اللّه، وأنها ملجأ المؤمن ساعة الشدة، وبالدخول الخاشع فيها تنفتح أبوابُ الفرَج !

قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦]. وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣]. وقال سبحانه لرسوله ﷺ لما منعه أبو جهل من الصلاة في البيت الحرام: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ١٩]. وفي الآيات دلالةٌ على أن الصلاة سَيْرٌ يُقَرِّبُ العبدَ من رَبِّهِ، ويجعله في حِمَاهُ وحفظه. وأنها تقوي عزيمة المسلم على مواجهة الشدائد، وتمد صبره بالقوة وطولِ النَّفَس!

ذلك أن العبد إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم قام فكبَّر،

ودخل في الصلاة مُقْبِلًا على اللَّـه بِكُلِّيَّتِه، أَقْبَلَ الربُّ الكريم عليه، فجعل ﷻ يتلقى منه تلاوته وتسبيحه ودعاءه؛ فيزوده تعالى بالهدى والسداد، ويحرسه بملائكته، ولا يرد له دعاء خَيْرٍ، فيدخل العبدُ بذلك في مناجاة خالصة مع الرحمن! فعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول اللَّـه ﷺ قـال: « إِنَّ أَحَدَكم إِذا قَام في صَلَاتِه فَإِنَّه يُنَاجِي ربَّه »[1] والمناجاةُ: خطاب القُرْبِ والمحبة! وعن أبي هريرة وعائشـة - رضي اللَّـه عنهما - أن رسولَ اللَّـه ﷺ قال: « إِنَّ المصلي يُنَاجِي رَبَّهُ، فلينظر بِمَ يناجيه! ولا يَجْهَرْ بعضُكم على بعضٍ بالقرآن »[2].

وقد ورد تفصيل مَدَارِ المناجاة بين العبد وربه فيما يرويه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ من الحديث القدسي، قال عليه الصلاة والسلام:

« قَالَ اللَّـه تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ..!

فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، قَالَ اللَّـه تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي!

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مالك، وأحمد، والنسائي في الكبرى، والبيهقي في الشعب، كلهم عن البياضي مرفوعًا، ورواه أحمد عن ابن عمر مرفوعًا. ورواه الطبراني عن أبي هريرة وعائشة مرفوعًا. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، والسلسلة الصحيحة، وصفة الصلاة، والمشكاة. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند: إسناده صحيح.

وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللَّـه تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي!

وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي! وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي!

فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ!

فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»(١).

فإذا ركع العبد شعر بعظمة الرب ﷻ؛ فجعل يسبح بحمد ربه وتعظيمه، وينال من فضله وجوده! حتى إذا سجد ووضع جبهته على الأرض وما يتبعها من أعضاء؛ ارتقى بأشواقه في معارج الروح إلى منازل المحبة! ولا يزال يرتقي ما دام ساجدًا؛ حتى يكون قريبًا.. قريبًا من مشاهد الجمال والجلال! هنالك تتدفق عليه شلالات الرحمة بالرضا والغفران، فتتناثر ذنوبُه من فوق رأسه، وتَسَّاقَطُ عنه الهموم والأحزان كما تَسَّاقَطُ أوراق الشجر! ويشهد في دعائه قضاءَ حاجاتِه، وانكشافَ همومِه، وذهابَ أحزانِه، وانفراجَ كُروبِهِ وضائقتِه. فلا يخرج من صلاته تلك إلا وقد امتلأ قلبُه سكينَةً ويقينًا! فالسجود للَّـه حقًّا هو باب الفرَج! فعـن

---

(١) رواه مسلم.

أبي هريرة ﷺ أن رَسُولَ اللَّـه ﷺ قال: « **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِن رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ** »[١] يعني في السجود.

ومن هنا كانت الصلاة - وهي حق اللَّـه العظيم أولًا وقبل كل شيء - مَلْجَأَ المكروبين والمهمومين، ما دخلها عبدٌ مغموم فدعا اللَّـه بصدقٍ وإخلاص إلا فرَّج اللَّـه كربه، وكشف غمه، وقضى حاجته! لِمَا في الصلاة من اتصال تعبدي باللَّـه، وتزود من أنوار أسمائه الحسنى، وتَلَقٍّ لحقائق الإيمان، وغذاء الروح الوارد من معين الجمال والجلال! فلا أَقْوَى آنئذ من عبد سجد للَّـه رب العالمين.

وقد ثبت أن النبي - عليه الصلاة والسلام - ما نزلت به ضائقة إلا فَزِعَ إلى الصلاة! فعن حذيفة بن اليمان ﷺ أن رسول اللَّـه ﷺ: (كانَ إذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى)[٢] ورُوِيَ أن ابن عباس - رضي اللَّـه عنهما - نُعِيَ إليه أخوه وهو في سفر، فاسترجع ثم تنحَّى عن الطريق، فأَنَاخَ فصلَّى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥][٣].

ومِنْ ثَمَّ فمَن سار بالصلاة إلى اللَّـه، متعبدًا بفرائضها

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والبيهقي في الشعب. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، وصحيح أبي داود. بينما ضعفه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٣) أورده ابن كثير عند تفسيره للآية، ومعنى « أَنَاخَ »: أجلس ناقته أو بعيره وجعله يبرك على الأرض.

ونوافلها، بلغ رتبة الولاية بإذن اللَّـه، وأصبح من أهل اللَّـه وخاصته؛ فكان عبدًا مُجَابَ الدعاء، مَحْمِيًّا بحفظ اللَّـه وأمانه، محروسًا بِمَسْلَحَتِهِ الملائكية، لَيْلَهُ ونهارَه! فعن أبي هريرة ﷺ أن رسُولَ اللَّـه ﷺ قالَ: « إنَّ اللَّـه تَعَالَى قَالَ: مَنْ عادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذنْتُهُ بالحَرْبِ! وَمَا تَقرَّبَ إِلَـيَّ عَبْدِي بشَيء أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيه، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقرَّبُ إِلَـيَّ بالنَّوافِلِ حَتَّى أحِبَّه، فَإِذَا أَحببتهُ كُنْتُ سَمعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلهُ الَّتي يَمْشي بِهَا! وَإِنْ سَأَلَني لَأُعْطِيَنَّه، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ »[١] فمَنْ أقوى في الأرض أو آمَن من عَبْدٍ هذا شأنه؟

وليست الولاية من الأماني الصعبة ولا من المنازل المستحيلة! لا تفزعك ذنوبك وخطاياك مهما أسرفت على نفسك! ولا ترهبك إلى درجة القنوط! نعم؛ شيء حَسَنٌ جميل - بل واجبٌ - أن تبكي على ذنوبك وخطاياك، لكنْ بكاء إشفاقٍ وأَمَلٍ، لا بكاء يأس وقنوط؛ إذ لا يزيدك بُكَاءُ الإشفاق عند اللَّـه إلَّا رحمةً وقربًا.

ولكن لا يجوز أن تصبح الخطايا في النفس حصارًا بينك وبين التوبة، أو مانعًا من الدخول في العمل الصالح، أو السعي لنيل المنازل العالية والدرجات الرفيعة عند اللَّـه!

---

(١) رواه البخاري.

أوَ ليس اللَّـه يغفر الذنوب جميعًا ولو كانت مِثْلَ زَبَدِ البحر؟ بلَى! بلَى! فذلك قوله الصريح المليح: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

فالدين يُسْرٌ والحمد للَّـه، وبركعتين خالصتين للَّـه، بعد توبة نصوح، ينال العبد الرضا والسلام من اللَّـه، ويكون من أهل الجنة، إن شاء اللَّـه! فعن عقبة بن عامر ﵁ أن رسول اللَّـه ﷺ قال: « مَا من مسلم يتوضأ فيحسن وُضُوءَهُ، ثم يقوم فيصلي ركعتين يُقْبِلُ عليهما بِقَلْبِهِ ووَجْهِهِ إلَّا وَجَبَتْ له الْجَنَّةُ! »[(١)] بل بمجرد وُضُوءٍ وَاحِدٍ مُتْقَنٍ يغفرُ لكَ الرحمنُ ما تقدم من ذنبك إن شاء اللَّـه! وذلك ما ستراه بدليله في هذا البيان الأخير بحول اللَّـه.

* * *

---

(١) رواه مسلم.

البيان السادس عشر

في أن الوضوء مغفرة ونور، وجمال للروح والبدن، وحِلْيَةٌ للمؤمن في الآخرة!

قَالَ اللَّـه تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦].

وَعَن أَبِي هُريرة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّـه ﷺ يقول: **« إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ[١] مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ »**[٢] وعنه رضي الله عنه قَالَ:

---

(١) الغُرَّةُ: بياض في جبهة الفرس، والتَّحْجيلُ: بياض في أقدامه، والمقصود نور الوضوء المشع من الأيدي والوجوه والأقدام.

(٢) متفق عليه.

سَمِعْتُ خليلي ﷺ يقول: « تَبْلُغُ الحِلْيَةُ مِنَ المُؤمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضُوءُ »[١] وعنه أيضًا ﷺ: أنَّ رسولَ اللَّـه ﷺ أتى المقبرةَ فقَالَ: « السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَومٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّـه بِكُمْ لاَحِقُونَ. وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوانَنَا » قالوا: أوَ لَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رسولَ اللَّـه؟ قَالَ: « أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ » قالوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رسولَ اللَّـه؟ فَقَالَ: « أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ[٢]، أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ » قالوا: بَلَى يَا رسولَ اللَّـه، قَالَ: « فإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ، وأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الحَوْضِ »[٣].

وَعَن عُثمان بنِ عفان ﷺ أَنَّ رَسولَ اللَّـه ﷺ قالَ: « من تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُج مِن تَحْتِ أَظْفَارِهْ »[٤] وعنه ﷺ قَالَ: رَأيتُ رسول اللَّـه ﷺ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: « مَنْ تَوَضَّأ هكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى المَسْجِدِ نَافِلَةً »[٥] ومعنى كون صلاتِهِ ومشيهِ نافلة هنا: أنهما فَضْلٌ زائد في الأجر؛ لأنه قد غُفر له ما تقدم من ذنبه بمجرد وضوئه!

---

(١) رواه مسلم.

(٢) دُهْمٌ: سُودٌ. جمع أدهم. وبُهْمٌ: جمع بَهِيم: وهو الذي لا يخالط لونه لون سواه.

(٣ – ٥) رواه مسلم.

وَعَن أَبي هُريرة ﷺ أنَّ رسول اللَّـه ﷺ قَالَ: « إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ - أَو المُؤْمِنُ - فَغسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ المَاءِ، أَو مَعَ آخِرِ قَطرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاه مَعَ المَاءِ، أَو مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ »[١].

وَعَن أَبي هُـريرة ﷺ أيضًا: أنَّ رسـولَ اللَّـه ﷺ قَالَ: « ألا أَدلكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّـه بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ » قالوا: بَلَى يَا رسولَ اللَّـه! قَالَ: « إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِد، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ! فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فذلكم الرباط »[٢].

وَعَن أَبي مَالك الأَشْعرِي ﷺ أَن رَسَولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ: « الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ »[٣] وَهُوَ الوضوء. وَعَن عُمر بن الخطابِ ﷺ عَن النَّبي ﷺ قَالَ: « مَا مِنْكُمْ مِنْ أحدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ - فَيُسْبغُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يقولُ: أشهَدُ أَلَّا إله إلا اللَّـه وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيها شَاءَ »[٤] تلك

(١ - ٤) رواه مسلم.

رواية مسلم، وعند الترمذي زيادة حسنة، هي قوله ﷺ بعد التشهد: « اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ! وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ »[١].

أما بعد؛ فيا أيها الفتى الحزين!.. هذه بشائر الأذان تطرق قلبي وقلبك، فلنتوضأ جميعًا للصلاة؛ عسى أن نكون من التوابين ونكون من المتطهرين!

* * *

---

(١) رواه الترمذي. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب.

خاتمة جامعة

ونختم هذه الرسالة بحديث عظيم، جمع فيه النبي ﷺ كلَّ حقائق الإيمان، ورسم فيه الطريق السالكة إلى اللَّـه بوضوح جميل! وإننا لنحسب أن من تمسك بمعالمه الكبرى نَجَا، وكان -إن شاء اللَّـه - من الفائزين! فهو رغم قِصَرِهِ يتضمن برنامجاً تربويًا كاملًا، ومسلكًا ربانيًا شاملًا، يضمن للعبد السالكِ الوصولَ السريعَ إلى اللَّـه بإذن اللَّـه. ولكن بشرط التزام الصدق والإخلاص، عند التخلق بكل خصلة من خصاله، ولدى التحقق بكل وصية من وصاياه. والحديث هو:

عن مُعَاذٍ ﷺ قَالَ: (كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ في سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ، ونَحْنُ نَسِيرُ.. [وفي صيغة أخرى أَبْيَنُ] قال: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّـهِ مِنْ غَزْوَة تَبُوك، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ خَلِيًّا.

- قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ! أَخبِرْني بِعَمَلٍ يُدْخِلُني الجَنَّـةَ وَيُبَاعِدُني مِنَ النَّارِ؟

- قَالَ: « بَخٍ! لَقَدْ سَأَلتَ عَنْ عَظِيمٍ! وإنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ

اللَّـه تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّـه لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاة، وتُؤتِـي الزَّكَاةَ، وتَصُومُ رَمَضَانَ، وتَحُجُّ البَيْتَ » ثُمَّ قَالَ: « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أبْوابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّـةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَما يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ » [السجدة: ١٦، ١٧].

- ثُمَّ قَالَ: « أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأسِ الأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ »

- قُلْتُ: بَلَى يَا رسولَ اللَّـه!

- قَالَ: « رَأسُ الأَمْرِ الإسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهادُ »

- ثُمَّ قَالَ: « أَلا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ »

- قُلْتُ: بَلَى يَا رسولَ اللَّـه!

- فَأَخَذَ بِلِسانِهِ وقَال: « كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا »

- قُلْتُ: يَا رسولَ اللَّـه! وإنَّا لَمؤاخَذُونَ بما نَتَـكَلَّمُ بِهِ؟

- فقالَ: « ثَكِلَتْكَ أُمُّـكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِم؟ »[١].

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي، والطبراني. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه بطرقه الشيخ الألباني في صحيح =

وفقني اللَّـه وإياك إلى الهُدى والسداد، وجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ونجانا برحمته من عذابه! وجعلنا من عباده المكرمين، آمين!

قال عبد ربه راجي عفوه وغفرانه،

فريد بن الحسن الأنصاري الخزرجي

عفا اللَّـه عنه وغفر له ولوالديه، ولكافة المسلمين

هذا ما يسر اللَّـه تقييده بهذه الرسالة الصغيرة،

سائلًا المولى جلَّت عظمته - أن يبارك فيها وينفع بها،

وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يقوي عزائمنا

وأبداننا على العبادات والطاعات! وكان تمام تصحيحه

وتنقيحه بمكناسة الزيتون، حاضرة المغرب الأقصى،

(يوم الاثنين ٢٧ شوال ١٤٢٩هـ،

الموافق لـــ: ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٨م)

وصلى اللَّـه على سيدنا محمد

وعلى آلـه وصحبه وسلم.

***

=الجامع، وفي السلسلة الصحيحة، وصحيح الترغيب، وصحيحي الترمذي وابن ماجه. كما صححه بطرقه أيضًا الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند.

السيرة الذاتية للمؤلف

- فريد الأنصاري.

- ولد بإقليم الرشيدية (سجلماسة) جنوب شرقي المغرب سنة: (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).

- حاصل على دكتوراه الدولة في الدراسات الإسلامية، تخصص أصول الفقه، من جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب المحمدية، المغرب.

- حاصل على دبلوم الدراسات العليا « دكتوراه السلك الثالث » في الدراسات الإسلامية، تخصص أصول الفقه، من جامعة محمد الخامس، كلية الآداب - الرباط.

- حاصل على دبلوم الدراسات الجامعية العليا (نظام تكوين المكونين) « الماجستير » في الدراسات الإسلامية، تخصص أصول الفقه، من جامعة محمد الخامس، كلية الآداب - الرباط.

- حاصل على الإجازة في الدراسات الإسلامية من جامعة السلطان محمد بن عبد اللَّه، كلية الآداب - فاس/ المغرب.

- صدر له من الدراسات العلمية:

١ - أبجديات البحث في العلوم الشرعية: محاولة في

التأصيل المنهجي، دار السلام: (٢٠٠٩م).

٢- الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، مطبعة الكلمة، مكناس/ المغرب، ط. الأولى: (٢٠٠٧ م).

٣- البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي، دار السلام، بالقاهرة: (٢٠٠٩م).

٤- التوحيد والوساطة في التربية الدعوية «الجزء الأول والثاني» نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، صدر ضمن سلسلة كتاب الأمة القطرية بالعددين: (٤٧ و ٤٨). السنة (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

٥- جمالية الدين: معارج القلب إلى حياة الروح، دار السلام، بالقاهرة: (٢٠٠٩م).

٦- سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة دار السلام، بالقاهرة: (٢٠٠٩م).

٧- الفجور السياسي والحركة الإسلامية بالمغرب، دراسة في التدافع الاجتماعي، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، ط. الأولى: (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٨- الفطرية بعثة التجديد المقبلة: من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، دار السلام، بالقاهرة: (٢٠٠٩م).

٩- قناديل الصلاة «كتاب في المقاصد الجمالية للصلاة»، دار السلام، بالقاهرة: (٢٠٠٩م).

١٠- مجالس القرآن: مدارسات في رسالات الهدى المنهاجي للقرآن الكريم من التلقي إلى البلاغ، دار السلام، بالقاهرة: (٢٠٠٩م).

١١- المصطلح الأصولي عند الشاطبي (أطروحة دكتوراه)، دار السلام، بالقاهرة: (٢٠٠٩م).

١٢- مفاتح النور، دراسة للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور لبديع الزمان النورسي، نشر مركز النور للدراسات والبحوث بإستنبول بالاشتراك مع معهد الدراسات المصطلحية بفاس، مطبعة نيسل بإستنبول، ط. أولى: (٢٠٠٤م).

١٣- مفهوم العَالَمِيَّة، دار السلام، بالقاهرة: (٢٠٠٩م).

١٤- ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى اللّـه، مطبعة أنفوبرانت فاس. ط. الأولى: (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

- **ومن الأعمال الأدبية:**

١- ديوان القصائد: شعر، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء: (١٩٩٢م).

٢- الوعد: شعر، مطبعة أنفوبرانت، فاس: (١٩٩٧م).

٣- جداول الروح: شعر، مشترك مع الشاعر المغربي عبد الناصر لقاح، مطبعة سندي، مكناس: (١٩٩٧م).

٤- ديوان الإشارات، طبع دار النجاح الجديدة، منشورات

الدفاع الثقافي بالمغرب: (١٩٩٩م).

٥- كشف المحجوب: رواية، مطبعة أنفوبرانت، فاس: (١٩٩٩م).

٦- آخر الفرسان، رواية. نشر دار النيل، إستنبول: (٢٠٠٦م).

- ملحوظة: تُطلب جميع كتبنا في طبعاتها الجديدة والمنقحة، من

دَارُ السَّلَامِ لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ وَالتَّرْجَمَةِ

بالقاهرة ووكلائها في العالم

فَرِيدُ الأَنْصَارِي

رقم الإيداع

١٧٨٥٣/ ٢٠٠٩

الترقيم الدولي **I.S.B.N**

978 -977 -342 - 796 - 2

الكِتَابُ في سُطُورٍ

في الصلاة يستند العبد إلى ربه الملك العظيم، الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وهو على كل شيء وكيل. ويشاهَد أن ما من شيء في ملكوت السماوات والأرض إلا وهو مملوك له، خاضع لجلاله العظيم! فعندما يدخل العبدِ في الصلاة يدخل في حِمَاه ﷻ، ويتلقى من أنوار أسمائه الحسنى ما يجعله غنيًّا بالله قويًا به تعالى، ويتزود من مقامات الجمال والجلال ما يملأ قلبَه أملًا وفرحًا بالله، فيشعر أنه «عبد لله» حَقًّا؛ فتتجدد حياته، وتشبُّ عزيمتُه؛ فإذا هو ينطلق إلى الحياة من جديد، بفُتُوَّةٍ جديدة، وقوة تَهُدُّ الجبالَ الرواسي!

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية

هاتف: ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢

فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)

الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣+)

www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

ISBN: 978-977-342-796